هديّة الإخوان

في شهر رمضان

إعداد:

دائرة التوجيه والإرشاد بالتجمع اليمني

للإصلاح محافظة ذمار

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول وعلى آله .. وبعد

فيسر إخوانكم في دائرة التوجيه والإرشاد بالتجمع اليمني للإصلاح – محافظة ذمار أن يقدموا لكم هذا البرنامج المتواضع عن شهر رمضان المبارك طمعا في أن نحيي به بيوت الله في هذا الشهر الفضيل بما يحب الله ويرضاه.

ولقد حرصنا من خلال هذا البرنامج أن نعطي الأئمة والخطباء مادة ثرية لمساعدتهم في انتقاء النافع والمفيد وبما يناسب الحال لكل منهم، آخذين في الاعتبار أنه ما قد يتناسب مع مسجد معين لا يكون بالضرورة مناسبا لمسجد لآخر؛ ولذا حرصنا على أن تكون المواد المتضمنة غنية بالنصوص لنترك المجال أمام الخطيب والداعية للانتقاء والاختصار بحسب الحال.

وقد تضمن البرنامج المواد التالية:

١– برنامج فردي يوزع على الدعاة والمصلين ليكون يومهم الرمضاني مثمرا.
٢– ست خطب متنوعة تكفي لتغطية الشهر المبارك، وجمعة سابقة لاستقباله، وخطبة لاحقة مناسبة للعيد.
٣– ثلاثون موعظة نموذجية للتراويح والقيام.
٤– دعاء ختم القرآن للشيخ السديس.

سائلين المولى تعالى أن يجعله شهر بركة ورحمة ومغفرة وعتق من النار.

إخوانكم في دائرة التوجيه والإرشاد

بالتجمع اليمني للإصلاح – محافظة ذمار

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
فهرس الموضوعات	٢
مشروع مثمر لليوم الواحد من رمضان	٤
الخطب	٧
خطبة عن استقبال رمضان (١)	٧
رمضان شهر القرآن (٢)	١١
التوبة (٣)	١٨
العشر الأواخر وليلة القدر وصدقة الفطر (٤)	٢٤
الزكاة (٥)	٢٨
خطبة العيد (٦)	٣٣
المواعظ	٣٨
بشائر وفضائل (١)	٣٨
القرآن الكريم وشهر رمضان (٢)	٣٩
فلا يرفث ولا يجهل (٣)	٤١
تدبر القرآن (٤)	٤٢
حسن الخلق (٥)	٤٣
رمضان فرصة لترك التدخين (٦)	٤٥
الفرائض والنوافل (٧)	٤٧
شهر الإنفاق (٨)	٤٨
الذكر فضائل وثمار (٩)	٥٠
الدعاء ثمار وفوائد (١٠)	٥٢
قيمة الزمن في حياة المسلم (١١)	٥٣
التذكير بمصاب المسلمين (١٢)	٥٤

فضل الصحابة (١٣)	٥٦
فتحت أبواب الجنة (١٤)	٥٨
وغلّقت أبواب النار (١٥)	٥٩
التوبة الباب المفتوح (١٦)	٦٠
غزوة بدر - أ (١٧)	٦٢
غزوة بدر – ب (١٨)	٦٤
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٩)	٦٥
العشر الأواخر وقيام الليل (٢٠)	٦٧
ليلة القدر (٢١)	٦٩
الاعتكاف (٢٢)	٧٠
الرحمة (٢٣)	٧١
صلة الأرحام (٢٤)	٧٢
صور الحب والتآخي بين المسلمين (٢٥)	٧٣
أعظم ليلة..! (٢٦)	٧٤
تربية الأولاد (٢٧)	٧٦
هدايا للصائمين (٢٨)	٧٨
سلامة الصدر (٢٩)	٧٩
العيد غدا (٣٠)	٨١
دعاء ختم القرآن	٨٣

مشروع مثمر لليوم الواحد من رمضان

قبل الفجر

١- التهجد قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرة ويرجو رحمة ربه) الزمر : ٣٩.
٢- السحور : قال النبي صلى الله عليه وسلم (تسحروا فإن في السحور بركة) متفق عليه .
٣- الاستغفار إلى أذان الفجر قال تعالى (وبالأسحار هم يستغفرون) الذاريات : ١٨ .
٤- أداء سنة الفجر: قال النبي صلى الله عليه وسلم (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها) رواه مسلم .

بعد طلوع الفجر

١. التبكير لصلاة الصبح قال النبي صلى الله عليه وسلم (ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً) متفق عليه .
٢. الانشغال بالذكر والدعاء حتى إقامة الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة) رواه أحمد والترمذي وأبو داود .
٣. الجلوس في المسجد للذكر وقراءة القرآن إلى طلوع الشمس: (أذكار الصباح) فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس. رواه مسلم.
٤. صلاة ركعتين : قال النبي صلى الله عليه وسلم (من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة) رواه الترمذي .
٥. الدعاء بأن يبارك الله في يومك : قال النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده) رواه أبو داود .
٦. النوم مع الاحتساب فيه : قال معاذ رضي الله عنه إني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي .
٧. الحرص على صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين

٨. الذهاب إلى العمل أو الدراسة قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) رواه البخاري .
٩. الانشغال بذكر الله طوال اليوم : قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها) رواه الطبراني .
١٠. صدقة اليوم: مستشعراً دعاء الملك : اللهم أعط منفقاً خلفاً.

الظهر

١. صلاة الظهر في وقتها جماعة مع التبكير إليها : قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إن رسول الله علمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه) رواه مسلم .
٢. تخصيص وقت لتلاوة القران وتدبره.
٣. أخذ قسط من الراحة مع نية صالحة (وإن لبدنك عليك حقاً).

العصر

١. صلاة العصر مع الحرص على صلاة أربع ركعات قبلها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً) رواه أبو داود والترمذي .
٢. سماع موعظة المسجد : قال النبي صلى الله عليه وسلم (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه الناس كان له كأجر حاج تاماً حجته) رواه الطبراني .
٣. الجلوس في المسجد : قال النبي صلى الله عليه وسلم (من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على الموزر أن يكرم الزائر) رواه الطبراني بإسناد جيد .
٤. تخصيص وقت لتلاوة القران أو حفظه أو مراجعته مع التدبر لآياته.

المغرب

١. قراءة أذكار المساء .
٢. الانشغال بالدعاء قبل الغروب قال النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا ترد دعوتهم وذكر منهم الصائم حتى يفطر) أخرجه الترمذي .
٣. تناول وجبة الإفطار مع الدعاء (ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى) رواه أبو داود.

٤. إتباع السنة في الإفطار بحيث يكون الفطور بالرطب أو التمر أو جرعة ماء.
٥. أداء صلاة المغرب جماعة في المسجد مع التبكير إليها .
٦. الاجتماع مع الأهل وتدارس ما يفيد : قال صلى الله عليه وسلم (وإن لزوجك عليك حقاً).
٧. الاستعداد لصلاة العشاء والتراويح.

العشاء

١. صلاة العشاء جماعة في المسجد – مع الأهل إن أمكن – مع التبكير إليها .
٢. صلاة التراويح كاملة مع الإمام قال النبي صلى الله عليه وسلم (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) رواه البخاري ومسلم .
٣. تأخير صلاة الوتر إلى آخر الليل : قال النبي صلى الله عليه وسلم (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً) متفق عليه.

برنامج مفتوح

١. زيارة (أقارب . صديق . جار)
٢. ممارسة النشاط الدعوي الرمضاني .
٣. مطالعة في كتاب
٤. مطالعة شخصية .
٥. مذاكرة ثنائية (أحكام . آداب . سلوك .. الخ)
٦. درس عائلي .
٧. تخصيص أوقات لطلب العلم .
٨. حضور مجلس الحي .
٩. تخصيص مبلغ للصدقة يوميا.
١٠. سماع شريط كاست (محاضرة).
١١. تخصيص وقت لحفظ القران وتلاوته .

مع الحرص على الأجواء الإيمانية واقتناص فرص الخير في هذا الشهر الكريم .... وصلى الله وسلم على نبينا.

الخطب

خطبة عن استقبال رمضان (١)

ما أجمل نسيم هذا اليوم، وما أروع شذاه، فحين انشق هذا الفجر عن ميلاد هذا الشهر ازدانت الدنيا وأشرقت أنوارها وهبت رياح الإيمان تنساب بين أرجائها.

روى الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تُفْتَح فيه أبواب السماء، وتُغْلَق فيه أبواب الجحيم، تُغَلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حرم)).

مرحبًا بك يا رمضان، حبيبًا جئت على فاقة، جئت بعد عام كامل، مات فيه قوم ووُلِدَ آخرون، واغتنى قوم وافتقر آخرون، وسَعِدَ قوم وشقي آخرون، واهتدى قوم وضلَّ آخرون. جئتنا بعد عام كامل وكأَنّ في ردائك كتابًا تقول فيه لكل مسلم: إذا أنت أدركتني هذه السنة فقد لا تُتِمّني، وإن أتممتني فقد لا تلقاني بعد عامي هذا، فالبِدارَ البِدارَ قبل فَوَات الفُرَص وذهاب الأعمار.

رمضان أقبل قم بنا يا صاح *** هذا أوان تبتّل وصلاح

الكون مِعطار بطيب قدومه *** روح ريحان ونفح أقاحي

صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها *** فالصفو ليس على المدى بمُتاح

واغنم ثواب صيامه وقيامه *** تسعد بخيرٍ دائم وفلاح

روى الطبراني في الكبير بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي قال: ((افعلوا الخير دهرَكم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده)) حسنه الألباني.

وها هي رياح الإيمان قد هبَّت، ومواسم الخير قد أقبلت فاغتنمها.

أيها المسلمون، رمضان فرص وحظوات، صيام وصلوات، جهاد ودعوات، ذكر وصدقات، رمضان فرص لا تعوض وأوقات لا تهدر، فهل من مدّكر؟!

رمضان فرصة للتوبة، فالله قد فتح أبوابه، وأجزل ثوابه، ((يبسط يده بالليل، ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)) رواه مسلم. يفرح بتوبة عبده وليس أحدٌ أشدَّ فرحًا من الله بها، ((لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلَتَت منه وعليها طعامُه وشرابه، فأيِسَ منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيِسَ من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخِطامِها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)) رواه مسلم. وإذا فرح الله بك يوم تتوب فأيّ خير ستلقاه؟! وأي شر ستوقاه؟!

أيها العاصي المُفَرِّط وكلنا ذلك الرجل، يا من نسي أبواب المساجد، وعكف على الملاهي، واقترف المناهي، أما آن لك أن تنتهي؟! أما ملّت نفسك هذا الطريق؟!

مَنْ لم يتبْ ويرقَّ قلبُه في رمضان فمتى يتوب؟! مَرَدَةُ الشياطين قد صُفِّدت، والشر قد اجتمع على نفسه فهو لا يطيق انتشارًا، وسحائب الإيمان أطلت وأظلت، و بيوت المسلمين قد لهجت بالدعاء وصلَّت.

والحُر من حذر الهوان يزايل الأمر الجسيما

والعاجز المأفون أبعدُ ما يكون إذا أقيما؟!

ما أحسن حال من التجأ إلى رب الأرباب، وما أطيب مآل من انتمى إلى كل صالح أواب، ما ألذَّ حديث التائبين، وما أنفع بكاء المحزونين، وما أعذب مناجاة القائمين، وما أمرَّ عيش المحجوبين، وأعظم حسرة الغافلين، وأشنع عيش المطرودين.

رمضان فرصة لتربية الرحمة في النفوس، حتى تعيش الجسد الواحد الذي يؤلم بعضَه ألمُ بعض، إنه من سنن الحياة أن الرحمة تظهر عند الإحساس بالألم، وأن الطغيان ينشأ عند الغفلة مع الأمن والغنى، كَلَّآ إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ [العلق:٦، ٧]، وهذا بعض السر الاجتماعي في الصوم، إذ يبالغ المسلم أشد المبالغة ويدقق كل التدقيق في منع الغذاء وشبه الغذاء عن البطن وحواشيه مدةً آخرها آخر الطاقة، وهي طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، ولا طريق غيرها إلا النكبات والكوارث التي تحل بالناس، "الصوم حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يستثير الشفقة، ويحض على الصدقة،

ويسن خِلال البر، حتى إذا جاع من أَلف الشبع وعرف المترف أسباب المتع عرف الحرمان كيف يقع، وألم الجوع إذا لذع".

اسأل نفسك: كيف سيكون صيام المشردين؟! وهل سيصومون أم سيفطرون؟! وعلى أي شيء سيفطرون؟! وفي الحديث: ((لا تُنزع الرحمة إلا من شقي)) رواه أبو داود وصححه الألباني.

رمضان فرصة لتربية النفوس وتقوية الإرادة فيها والارتفاع بها إلى سماء المجد ودرجات العز والروح.

إن رؤية هلال الصيام في السماء لهو إشارة بالغة لبدء معركة الإرادة وجولة العزيمة، فالصوم يدرب المسلم على أن يمتنع باختياره عن شهواته وملذاته، في إرادة قوية ثابتة، لا يَضِيرُها كيد الشيطان، ولا تعدو عليها عوادي الشهوة، فانظر أي قانون من القوانين يحقق ذلك؟! وأي أمة من الأمم تجد ثلاثين يومًا من كل سنة قد فُرضت فرضًا لتربية إرادة شعبها ومزاولة فكرة نفسية واحدة؟!

ألا ما أعظم الإسلام، وما أروع الصيام، لو قيل لبعض الناس: دعوا عنكم الدخان لاستصعبوه وأحسوا العنت بفقده، فما بالهم اليوم دون أي نداء ودون إلحاح قد تركوه.

إن هذه الإرادة وهذه التربية الرمضانية يجب أن لا تذهب أدراج الرياح، بل الواجب أن ترسخ في النفوس، وأن تكون جزءًا لا يتجزأ من كيانها، حتى إذا انتهى الشهر وودَّع بقيت آثار هذه الإرادة وهذه التربية في النفوس، فلا يكون ذهابها إلا حين تروح الروح، وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ [الحجر:٩٩].

رمضان فرصة للدعوة إلى الله وتذكير الغافلين وإرشاد التائهين، فلئن كان الناس يجتهدون في إفطار الصائم ليتحصلوا على مثل أجر صيامه، فإن من يهتدي بسببه إنسان له مثل أجر صيامه وصلاته وحجه وزكاته، وكل عمل صالح يعمله، ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنقُص من أجورهم شيئًا)) رواه مسلم. فرمضان فرصة ذهبية للدعوة، فالنفوس فيه قد مالت إلى الخير، وخفّ ضغط الشيطان عليها، والواقع يشهد بذلك. فاعرضْ بضاعتك أيها الداعية، ولا يكن أهل الدنيا أكثر منك جدًا وأعظم سعيًا.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم.

الخطبة الثانية

الحمد الله وفَّق مَنْ شاء لطاعته، ويضلّ سبحانه من يشاء فهو مشغول بمعصيته، أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله.

إن مما يشحذ الهمم ويقوِّي العزائم ويبعث على الجدِّ في العمل النظر في حال السابقين وخبر الصالحين، ثم الاقتداء بهم والسير على طريقتهم واستقبال رمضان بالجد والنشاط.

ذكر الأصفهاني قال: قال عبد العزيز بن مروان: كان المسلمون يقولون عند حضور شهر رمضان: "اللهم قد أظلنا شهر رمضان وحضر، فسلمه لنا وسلمنا له، وارزقنا صيامه وقيامه، وارزقنا منه الجد والاجتهاد والقوة والنشاط، وأعذنا فيه من الفتن".

ابتاع قوم من السلف جارية، فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها، فسألتهم عن ذلك فقالوا: نتهيأ لصيام رمضان، فقالت: وأنتم لا تصومون إلا رمضان؟! لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان، رُدوني إليهم.

لقد كان رمضان الذي يجيء إلى السلف رمضانًا حقيقيًا، وما أدري أمات وجاء غيره، أم شاخ وعجز أن يطوف في جميع البلاد فاكتفى ببعضها وببعض البيوتات دون بعض.

إن من الناس من يدخل عليه رمضان ويخرج دون أن يشعر به أو يحس له بأثر، فتضيع عليه أوقاته فيما لا ينفع، وقد قال السلف: "من علامة المقت إضاعة الوقت".

بل إن منهم من يزداد غِيّه ويعظم شرُّه في هذا الشهر، فلا يحرم نفسه الأجر فقط بل يرصدُ فيه مزيدًا من الوزر.

يا ساهيًا لاهيًا عما يراد به *** آن الرحيل وما قدمت من زاد

ترجو البقاء صحيحًا سلمًا أبدًا *** هيهات إن غدًا فيمن غدا غاد

(قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلاَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ) [الزمر:١٥].

رمضان شهر القرآن (٢)

بشرى من الغيب ألقيت في فم الغار ...

في ليلة السابع عشر من رمضان والنبي صلى الله عليه وسلم في الأربعين من عمره أذن الله عز وجل للنور أن يتنزل، فإذا جبريل عليه السلام آخذ بالنبي صلى الله عليه وسلم يقول له: اقرأ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ [العلق:١-٣]. فرجع بها رسول الله صلى اللهم عليه وسلم يرجف فؤاده)) [البخاري:٣].

وهكذا نزلت أول آية من هذا الكتاب العظيم على النبي الرؤوف الرحيم في هذا الشهر العظيم.

وهكذا شهدت أيامه المباركة اتصال الأرض بالسماء، وتنزل الوحي بالنور والضياء، فأشرقت الأرض بنور ربها وانقشعت ظلمات الجاهلية الجهلاء.

ومن قبل ذلك شهد هذا الشهر الكريم نزولاً آخر، إنه نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ [القدر:١]. إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ [الدخان:٢]. قال ابن عباس: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة [النسائي والحاكم]. وقال ابن جرير: نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أراد الله إنزاله إليه.

إنها تلك "الليلة الموعودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وانبهار، ليلة الاتصال بين الأرض والملأ الأعلى، ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي آثاره في حياة البشرية جميعاً.

والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تكاد ترف وتنير بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود نور الله المشرق في قرآنه إِنَّا أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ [القدر:١]. ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا [القدر:٤]. ونور الفجر سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ [القدر:٥]." [في ظلال القرآن].

"وأي نعمة أعظم من نعمة نزول القرآن؟ نعمة لا يسعها حمد البشر فحمد الله نفسه على هذه النعمة ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا [الكهف:١].

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ إنها منة الله على الإنسان في هذه الأرض، المنة التي ولد الإنسان معها ميلاداً جديداً ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة، المنة التي التقطت البشرية من سفح الجاهلية لترقى بها في الطريق الصاعدة إلى القمة السامقة على المنهج الرباني الفريد" [الظلال].

وهكذا إذن، شهد شهر رمضان هذا النزول الفريد لكتاب الله، ومن يومذاك ارتبط القرآن بشهر رمضان شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ [البقرة:١٨٥].

ومن يوم ذاك أصبح شهر رمضان هو شهر القرآن.

عن ابن عباس قال: (كان رسول الله صلى اللهم عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى اللهم عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة) [البخاري:٦، مسلم:٢٣٠٨].

لقد كان القرآن أنيسه وسميره في رمضان.

نعم السمير كتاب الله إن له حلاوة هي أحلى من جنى الضرب

به فنون المعاني قد جمعن فما تفتر من عجب إلا إلى عجب

أمر ونهي وأمثال وموعظة وحكمة أودعت في أفصح الكتب

لطائف يجتنيها كل ذي أدب وحكمة أودعت في أفصح الكتب

قال ابن رجب: دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له. [لطائف المعارف:٣٥٤]. وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي حديث فاطمة عليها السلام عن أبيها أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة، وأنه عارضه في عام وفاته مرتين. [البخاري:٣٦٢٤، ومسلم:٢٤٥٠]، [لطائف المعارف:٣٥٥].

قال رحمه الله: وفي حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً مما يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً [المزمل:٦]. [لطائف المعارف:٣٥٥].

وقد كان للسلف رحمهم الله اجتهاد عجيب في قراءة القرآن في رمضان بل لم يكونوا يشتغلون فيه بغيره.

وكان الزهري إذا دخل رمضان يقول: إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام.

وقال ابن الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وقال سفيان: كان زبيد اليامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

وكان لهم مجاهدات من كثرة الختمات رواها الأئمة الثقات الأثبات رحمهم الله.

فقد كان الأسود يختم القرآن في رمضان كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان كل ست ليال.

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة.

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث.

وقال ربيع بن سليمان: كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة ما منها شيء إلا في صلاة.

وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الرجوي يختم كل يوم.

وروى ابن أبي داود بسند صحيح أن مجاهداً رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل.

وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان.

قال مالك: ولقد أخبرني من كان يصلي إلى جنب عمر بن حسين في رمضان قال: كنت أسمعه يستفتح القرآن في كل ليلة. [البيهقي في الشعب].

قال النووي: وأما الذي يختم القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير رضي الله ختمة في كل ركعة في الكعبة. [التبيان:٤٨].

قال الذهبي: قد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة. [سير أعلام النبلاء].

قال القاسم عن أبيه الحافظ ابن عساكر: كان يختم كل جمعة ويختم في رمضان كل يوم. [سير أعلام النبلاء].

فإن قلت أي أفضل؟ أن يكثر الإنسان التلاوة أم يقللها مع التدبر والتفكر؟

قال النووي رحمه الله: والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص فمن كان من أهل الهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني وكذا من كان له شغل بالعلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل، ولا يقرؤه هذرمة. [الفتح:٨/٧١٥].

ومعنى ذلك أن الإكثار . وإن كان مطلوباً لذاته . لا ينبغي أن يطغى على الفهم والتدبر، فلايكن هم المرء كثرة الختم دون أن يعقل مما قرأ شيئاً.

وأما حديث ابن عمر: ((ما فقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث)) فقد أجاب عنه الأئمة رضي الله عنهم.

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصاً في الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره. [لطائف].

وقال ابن حجر: وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق ... وقال النووي: أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والله أعلم. [الفتح:٨/٧١٦].

وإن قال قائل: هذا الذي ذكر لا يقبله عقل ولا يقره منطق، فإنني أقول له ما قاله الإمام اللكنوي رحمه الله. قال: فإن قلت بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها؟ قلت: وقع مثل هذا وإن استبعد من العوام فلا يستبعد من أهل الله تعالى، فإنهم أعطوا من ربهم قوة وصلوا بها إلى هذه الصفات، ولا ينكر هذا إلا من ينكر صدور الكرامات وخوارق العادات.

وإن الذاكرين لهذه المناقب ليسوا ممن لا يعتمد عليه أو ممن لا يكون حجة في النقل بل هم أئمة الإسلام وعمد الأنام ... كأبي نعيم وابن كثير والسمعاني وابن حجر المكي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والنووي والذهبي ومن يحذو حذوهم. [إقامة الحجة:١٠١].

وقد سبق أن ذكرت كلمة الإمام ابن رجب التي قرر فيها أن مثل هذا الاجتهاد سائغ في الأزمنة المفضلة والأماكن المفضلة وأما طوال العام فالأولى للمؤمن ألا يختمه في أقل من ثلاث وإن لم يكن ذلك ممنوعاً، قال الذهبي رحمه الله: ولو تلا ورتل في أسبوع ولا زم ذلك لكان عملاً فاضلاً، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة والضحى وتحية المسجد مع الأذكار المأثورة الثابتة والقول عند النوم واليقظة ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمه وزجر الفاسق ونحو ذلك ... لشغل عظيم جسيم ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب فمتى تشاغل العبد بختمة في كل يوم فقد خالف الحنيفية السمحة ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه. [السير:٣/٨٤-٨٦].

قال نافع: لما غسل أبو جعفر القاري نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن. [معرفة القراء الكبار].

وفي رمضان يجتمع الصوم والقرآن، فتدرك المؤمن الصادق شفاعتان، يشفع له القرآن لقيامه، ويشفع له الصيام لصيامه، قال صلى الله عليه وسلم: ((الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم

بالليل فشفعني فيه فيشفعان)) [أحمد]. وعند ابن ماجه عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك)).

"واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه، جهاد بالنهار على الصيام وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وُفي أجره بغير حساب" [لطائف المعارف:٣٦٠].

ومن صور اختصاص شهر رمضان بالقرآن الكريم صلاة التراويح، فهذه الصلاة أكثر ما فيها قراءة القرآن، وكأنها شرعت ليسمع الناس كتاب الله مجوداً مرتلاً، ولذلك استحب للإمام أن يختم فيها ختمة كاملة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره [لطائف المعارف:٣٥٦]. ومما يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن حذيفة قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة من رمضان فقام يصلي، فلما كبر قال: الله أكبر، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها ثم ركع يقول: ((سبحان ربي العظيم)) مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقال: ((سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد)) مثل ما كان قائماً ثم سجد يقول: ((سبحان ربي الأعلى)) مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقال: ((رب اغفر لي)) مثل ما كان قائماً ثم سجد يقول: ((سبحان ربي الأعلى)) مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقام، فما صلى إلا ركعتين حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة [أحمد، مسند باقي مسند الأنصار رقم:٢٢٣٠٩].

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، وفي رواية أنهم كانوا يربطون الحبال بين السواري ثم يتعلقون بها [لطائف المعارف:٣٥٦]. وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشرة منهم أبو رجاء العطاردي. [لطائف المعارف:٣٥٨].

كل هذا التطويل والقيام من أجل تلاوة القرآن وتعطير ليالي شهر القرآن بآيات القرآن.

وإذا كان هذا شأن القرآن في رمضان فما أجدر العبد المؤمن أن يقبل عليه، ويديم النظر فيه، وإني أقترح على الأخ المؤمن الصادق أن يجعل له مع القرآن في هذا الشهر ثلاثة مسارات:

المسار الأول: مسار الإكثار من التلاوة وتكرار الختمات، فيجعل الإنسان لنفسه جدولاً ينضبط به، بحيث يتمكن من ختم القرآن مرات عديدة ينال خيراتها وينعم ببركاتها.

المسار الثاني: مسار التأمل والتدبر، فيستفتح الإنسان في هذا الشهر الكريم ختمة طويلة المدى يأخذ منها في اليوم صفحة أو نحوها مع مراجعة تفسيرها وتأمل معانيها، والتبصر في دلالاتها واستخراج أوامرها ونواهيها ثم العزم على تطبيق ذلك ومحاسبة النفس عليه، ولا مانع أن تطول مدة هذه الختمة إلى سنة أو نحوها شريطة أن ينتظم القارئ فيها ويكثر التأمل ويأخذ نفسه بالعمل، ولعل في هذا بعض من معنى قول الصحابي الجليل: (كنا نتعلم العشر آيات فلا نجاوزهن حتى نعلم ما فيهن من العلم والعمل).

المسار الثالث: مسار الحفظ والمراجعة، فيجعل لنفسه مقدارا يومياً من الحفظ ومثله من المراجعة، وإن كان قد حفظ ونسي فهي فرصة عظمى لتثبيت الحفظ واسترجاع ما ذهب، ولست بحاجة إلى التذكير بجلالة منزلة الحافظ لكتاب الله ورفيع مكانته، وحسبه أنه قد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى له.

أخي الكريم ... ها قد عرفت من فضل القرآن ما قد عرفت، وعلمت من ارتباط هذا الشهر الكريم بالقرآن العظيم ما قد علمت، فلم يبق إلا أن تشمر عن ساعد الجد، وتأخذ نفسك بالعزم، وتدرع الصبر، وتكون مع القرآن كما قال القائل:

أسرى مع القرآن في أفق فذ تبارك ذلك الأفق

وسرى به في رحلة عجب من واحة الإيمان تنطلق

وارتاد منه عوالماً ملئت سحراً به الأرواح تنعتق

يامن يريد العيش في دعة نبع السعادة منه ينبثق

"عباد الله هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع، ومع هذا

فلا قلب يخشع ولاعين تدمع ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع". [لطائف المعارف:١٣٦٤/٣٦٥].

فهل للنفس إقبال؟ وهل للقلب اشتياق؟ وهل نملأ شهر القرآن بتلاوة القرآن؟

التوبة (٣)

أيها المؤمنون، إن مِن أسماء الله الحسنى وصفات جماله وكماله ونواله التوابَ الغفار، ولا شك أن مَن هذه أسماؤه ومَن هذه صفاته . لا شك . يحب التوابين الراجعين إليه في كل حين المتطهرين من ذنوبهم.

نداءاتُ الله سبحانه لعباده بالتوبة وصلت كل أذن واعية: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور:٣١]، ومغفرته جل في علاه شملت كل مذنب أسرف على نفسه بالمعاصي فندم حتى ضاقت عليه نفسه، وأبواب رحمته وسعت كل تائب هارب إليه، ويده مبسوطة في كل حين من ليل ونهار ليتوب المسيئون، وليؤوب إلى سبيل الرحمان من أبعدهم عنه الشيطان، وأوقعتهم أنفسهم في دَرَكات البعد عن الله، لا يَكَلُّ ولا يمل سبحانه، ولا تغلق أبوابه، ولا ينتهي حلمه وإحسانه، قال الرسول عليه الصلاة والسلام عن اللطيف بعباده الرؤوف بهم: ((إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)) رواه مسلم وغيره عن أبي موسى الأشعري.

وإن الله سبحانه قد فتح باب التوبة، ويسَّر طُرق الأَوْبَة، ورغَّب فيها، وشوَّق إليها، ووعد من تاب وأناب بقبوله وتبديل سيئاته حسنات: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى [طه:٨٢]، وقال سبحانه: مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الفرقان:٧٠]، ومن أجل التوبة إليه سبحانه رغَّب في الجنة وما فيها، ورهَّب من النار وما فيها، ولغايةِ الخضوع والرجوع إليه جل في علاه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، فأقام الحجة، وأوضح المحَجَّة، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى مَن حيَّ عن بينة.

ومن الدلائل على صفحه وحلمه جل سبحانه أنه لا يُنْزِل العقوبة على من أذنب إثر ذنبه مباشرة، بل يُمْهل ويستر ويُنْظِر، لعل المذنب يتوب، ولعل الآبق يؤوب، قال سبحانه: وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ [الكهف:٥٨]؛ لأن الله يريد للناس المتاب لا

العذاب، والله عز وجل ما فرض الفرائض وشرع العبادات إلا للاعتراف بنعمه والثناء عليه والدخول في سلك التائبين المنيبين السائرين في طريقه السالكين إليه.

والصيام ما فرضه الله على عباده إلا لمصالحهم المتعددة: ليرجعوا إليه، ويقفوا على بابه، ويطهروا قلوبهم وأرواحهم مما عَلِق بها من أدناس، ويزكوها لتسمو إلى رب الناس، وينعموا بما عند خالقهم من فضل ورحمة وخير لا يقاس، وعطاء عظيم لا ينفد، ونعيم مقيم في جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [آل عمران:١٣٣-١٣٦].

رمضان يُلهم الله فيه النفوس الآثمة والقلوب الهائمة، لترجع إلى مولاها، وتصحح المسار، وتصحب الأخيار، وتترك طرق الغاوين الفجّار، وتتطهّر من الأقذار والأكدار، وتتخفّف من الذنوب والأوزار، لتسْلَم من الأخطار يوم العرض على الجبّار، وتدخل جنات تجري من تحتها الأنهار، وتنظر إلى وجه الرحيم الكريم الغفار.

عباد الله، إن الصيام أهم شعيرة سنوية تحل بالمسلمين كمحطة للمراجعة والتوبة والإنابة وطلب الغفران، أراده الله ليكون مناسبة لمراجعة النفس ومواجهتها، وردِّها إلى فطرتها وأصل خِلقتها، والعودة بها إلى رحاب الله، وإلى كنفه وهداه مع أهل الله، ولتتذوق حلاوة الإيمان، ولترقى في مدارج الإحسان، ولتُحِس بعزة العبادة ولذتها، بعد مرارة المعصية وذلة الخضوع للهوى وللشيطان، ويكفي من شرف هذا الشهر المبارك وفضله أن من صامه وقامه بإيمان وإحسان وإتقان مُحِيت صفحاته السوداء، وفُتِحت له صحيفة نقية بيضاء، وسَطَع له في الملأ الأعلى نور وأضَاء، يقول المصطفى الكريم عليه صلوات وتسليمات الله: ((من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)) رواه مسلم والبخاري عن أبي هريرة، وقال: ((من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدم من ذنبه)) رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن أبي هريرة.

في رمضان ينادي منادي الله بنداء لطيف مُشفِق حانٍ: يا أيتها الأنفس الشاردة، ارجعي إلى ربكِ، وعودي إليه، وادخلي في صف عباده الصالحين، لتدخلي جنته مع الداخلين، ولتنعمي مع من:

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا [النساء:٦٩، ٧٠]. والله الكريم المنان ذو فضل على الناس . كل الناس . وعلى المؤمنين بوجه خاص، ففي رمضان يُغلِّق أبواب جهنم جميعًا، ويُفتِّح أبواب الجنان جميعًا، ويقيّد الشياطين ويسلسلهم، ويحرك الأنفس للطاعات، ويكلف من ينادي: ((يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر)) رواه الحاكم عن كعب بن عُجْرَة وقال: "صحيح الإسناد".

عندما يُقبِل رمضان تتدفّق أمواج التائبين على المساجد، ويكثر سواد المتدينين، وتتطهر أرواح المذنبين، وتتعطر بأريج التوبة، وتعلو البسمة والبِشْر وجوههم، وتغمرهم نسائم الإيمان، وتهزُّهم أشواق الإحسان في شهر القرآن، وكم تبكي عيون المذنبين، وتقشعر جلودهم، وتلين قلوبهم، وتطمئن لذكر الله، ويزول عنها الران الذي علاها، وتصفو وتزكو، وتُفتح أبوابُ الأمل في وجوه المذنبين الذين أطاحت بهم الشياطين في فخاخها، وأوقعتهم في شباكها، وأحاطت بهم خطاياهم من كل جانب حتى اشتد قلقهم وتوجسهم منها؛ لأن الله الكريم الحليم هيّأ لهم الأجواء، وقلل عنهم سبل الإغواء، وأخرس ألسنة الشياطين الأعداء، وشَلَّ حركاتهم، وأزال وساوسهم، وجعل أرواح المؤمنين تستجيب لأوامره سبحانه، وأخمد نيرانَ الشهوات، وأضعف حدة الهوى في نفوسهم، وما ذلك إلا ليتوبوا ويسلكوا سبيل التائبين النادمين المقبلين على الله، قال الله الحليم الرحيم: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا [النساء:٢٦-٢٨].

أيها التائبون الجدد، رمضان يأتي وفيه فُرَص الغفران ومواسم الامتنان ومفاتيح أبواب الجنان، وفيه تتطلع النفوس إلى رحمة الله المبسوطة في أوله، وإلى المغفرة الشاملة في وسطه، وإلى العتق من النار المتاح في آخره، فمن أقبل فيه على الطاعات فاز وسَعِد، ومن أعرض عنها غُبِن ونَكِد، وحرم نفسه من نفحات العفو الإلهي المعروضة في شهر المغفرة، قال الرسول : ((بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يُغفر له)) رواه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الدعوات، أي: أبعده الله عن رحمته وفضله، وقال عليه الصلاة والسلام: ((رَغِم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يُغفر له)). إنه دعاء من جبريل دعا به على من فرَّط في اغتنام ما يتاح من فرص الخير وما يفتح من أبواب الفضل، وهذا الدعاء أمَّنَ عليه الرسول للزيادة في التأكيد على استجابته وقبوله، ولقد أعذر الله لعبد أدركه رمضانُ فلم يتب، بل بقي كما كان على حاله من الذنوب والآثام، فتبًّا لمن جاءته مواسم الإنابة مفتوحة أبوابها ولم يغتنمها.

رمضان مناسبة يمنحها الكريم لعباده كي يغتنموها لإصلاح ما فسد من تدينهم، وتجديد ما بَلِي من إيمانهم، وتقويم ما اعوَجَّ من سلوكهم، وتطهير ما ران على قلوبهم، وللإكثار من الصالحات؛ ليكون ذلك رصيدًا يُكمِّل لهم ما يعتري أعمالهم خلال السنة من نقص أو تقصير، فإذا أضاع المسلم هذه الفرص وحُرِم مما يتاح فيها من الخيرات والبركات وأضاع ما يمكن أن يربح فيها من الصفقات فهو محروم مهموم مَغْبون، وأي حرمان بعد هذا؟! وبئس المحروم مَن حُرِم مِن فضل الله الدافق الرائق.

أيها الراغبون في التوبة، ها هو رمضان شهر التوبة قد أقبل، والتوبة افتقار إلى الله وانكسار، واستغفار واعتذار من الذنب والناس هجوع، وتذلل بين يديه وخضوع، وإقلاع عن الذنب ورجوع، وندم على ما فات، وعزم وعهد على الابتعاد عن المعاصي وأسبابها ومقترفيها وأمكنتها فيما هو آت، ورد للمظالم والحقوق المغتصبة بغير حق إلى أصحابها. والتوبة فتح صفحة بيضاء، وسلوك سبيل واضح وضَّاء، وحَذَر من العودة إلى الذنب وبكاء، وتضرع وقت النزول الإلهي ودعاء، وخوف ورجاء. قد أهَلَّ الهلال من رمضان شهر زلفى وتوبة وأذْكار، فاذكروا الله فيه ذكرًا كثيرًا، واستجيروه من عذاب النار، وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب صادق، وأقلعوا عن الإصرار، فاعملوا أيها المسيئون، وادعوا ربكم جهرة وفي الإسرار، واحذروا غفلة القنوط وداووا داءها بالرجوع للغفار.

والتوبة خيرُ ما ينبغي أن يستقبل به الناس شهر الصيام، فإذا ظهر هلال رمضان حري أن يلجأ إلى الله المذنبون، ويقف بأبواب رحمته القانطون، ولفضله يرجو المسرفون. قل لأهل الذنوب والآثام: قابلوا بالمتاب شهر الصيام، وأقلوا الكلام فيه نهارًا، واقطعوا ليله بطول القيام، واطلبوا العفو من إله عظيم ليس يخفى عليه فعل الأنام.

إن الله التواب الرحيم العفو الحليم جل جلاله وكرُم نواله يفرح بتوبة التائبين أكثر من فرحة الأم بولدها، ويَقبَل رَجعتهم إليهم، ويغفر لهم ولا يبالي، قال الرسول : ((للَّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة)) رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك، ومعنى الحديث: أن الله يفرح أكثر من الذي فقدَ بعيره في أرض واسعة خالية، ثم وجده ففرح بذلك كثيرًا، الله الله، ما أوسع رحمة الله! وما أجمل عفو الله! وما أكمل إحسان الله! جل الله، ما أعطف حلم الله! سبحان من سبقت رحمتُه غضَبه، سبحان من كتب على نفسه الرحمة، وجعلها تسَعُ كل شيء.

رمضان أجمل فُرَصِ التطهير، وأحسن أوقات التنوير، موسم الغفران المرتجى والعطاء والرضا والقربى والزلفى، شهر الصفح الجميل وعفو الجليل، شهر الهبات وإقالة العثرات ومحو السيئات وتكثير الحسنات وعلو الدرجات وانسكاب البركات.

فإذا كان الله عز وجل قد رغَّبنا في أن نتوب إليه، وإذا كانت نفوس الناس تتطلع إلى التوبة وترجو الغفران فأي توبة مطلوبة؟! وأي رجعة إلى الله مرغوبة؟!

إن التوبة المطلوبة هي التي لا تستقيم الحياة إلا بها، ولا يصحُّ السلوك إلى الله إلا بشروطها، ولا تصلح الأحوال ولا تكتمل سعادة المؤمن إلا معها، ولا تحصل فرحة الأمة وترفع عنها الغُمّة إلا بها، هي التوبة الشاملة الكاملة الفاعلة العميقة المتجدّدة، التي تقلب كل الموازين العقلية القلبية الأخلاقية السلوكية، وتوجِّه التائب وجهة الآخرة، وتستنقذه من عبوديته لهواه وأهواء الناس، وتخلّصه لله عز وجل خالقه ورازقه. توبة صادرة من الفرد المؤمن باعتباره مكلفًا مسؤولاً مُستخلَفًا، وصادرة من جماعة المؤمنين بصفتهم أمة خاتمة شاهدة، ينبغي أن تكون رائدة راشدة قائدة. فتوبة الناس بشكل فردي لا تُغَيِّر من واقع الأمة المُزْرِي شيئًا، وإن ربطت وحسنت علاقة الفرد بربه، وغيرت سلوكه، وصححت مسيره إلى الله.

ألا إن المطلوب هو التوبة الصادقة التي تعُم كل أفراد المجتمع أو أغلبهم، وتشمل مؤسساته وإداراته وهيئاته وحكَّامه ومسؤوليه من أدناهم منزلة إلى أعلاهم مسؤولية، توبة تنقل الفرد إلى الاستقامة على الدين والالتزام به والدعوة إليه وخدمة أفراد المجتمع وإسداء الخير لهم وأداء واجباتهم والسهر على مصالحهم والتألم لآلامهم والتطلع إلى تحقيق آمالهم والإشفاق على ضعيفهم وإغاثة محرومهم واجتناب كل ما يضرُّ بهم ويعطل مصالحهم ويحرمهم من حقوقهم، كالرشوة والاحتكار والسرقة والاستغلال وأكل أموالهم بالباطل، وتنقل الحكام والحكومات من التفرد باتخاذ القرارات والتصرف في الأموال والثروات إلى إشراك أفراد الأمة وأخذ آرائهم بعين الاعتبار، وإعطائهم نصيبهم الذي يستحقون من مال الله، وتوزيعه بعدل وإنصاف، دون ظلم أو نقص أو إجحاف، وتوبة تنقلهم من التزيُّن بالإسلام إلى العمل به في كل مجالات الحياة ونصرته، والانشغال بقضايا المسلمين أينما وجدوا.

وفي الجانب السياسي: توبة من التزوير والتمرد على إرادة الشعوب وانتهاك حقوقهم والضحك عليهم إلى قضاء مصالحهم وتحقيق مطامحهم واحترام توجهاتهم. توبة أصحاب المؤسسات والمشاريع

الهدامة الحرام التي تنشر الشر، وتشيع الإجرام والفواحش، وتقوم على استغلال الضعفاء واستنزاف طاقاتهم. توبة تطهر المجتمع من المظاهر المشينة ومن فساد المفسدين كالإجرام والخمر والمخدرات والرشوة والربا والزنا والسرقة والقمار والاحتكار، وتطهر القلوب من سواد المعاصي وأكدارها، وتطهر النفوس من وساوسها وهواجسها. توبة تكون معها قلوب الأغنياء رحيمة، وبالعطاء كريمة. توبة تسود معها قيم التسامح والإحسان والحب، وتهب معها نسائم الخير، وتنتشر أخلاق المجتمع الأخوي الفاضل الطاهر، بدل أوصاف مجتمع التنافر والكراهية والبغض والاستغلال والأنانية والتسلط والاستعلاء.

توبة كل أفراد الأمة حيث تنقلهم من الاهتمامات الشخصية الفردية إلى الاهتمام بكل قضايا أمتهم، والفَتْل في حبل النهوض بها، ورَتْق ما انتُقِض من عُرَاها، بدءًا بما انتقض أولاً، ثم التدرج بحكمة ورحمة وهِمَّة.

وفي الجانب الإعلامي توبة من الكذب والتلفيق والافتراء والتضليل والتسفيه والتمويه والتشويه إلى الإصلاح والإرشاد والتوجيه ونشر الأخلاق والفضائل والحقائق وفضح المفسدين الظالمين المستغلين المستبدين وتوعية الناس بقضاياهم المصيرية، وأولها وأهمها المصير إلى الله اللطيف الحسيب الرقيب، وبما يجب عليهم فعله في كل مرحلة من حياتهم.

فلا بد من التوبة النصوح في كل مجال حتى تصلح الأحوال وتزول المصائب والأزمات والأهوال، وإلا فتوبتنا غير صادقة، وطريقنا خاطئ غير موصل، تحُفُّه المخاطر.

ألا فليكن رمضان بداية لتوبة حقيقية، وبداية انطلاقة راشدة ورجوع صادق إلى الله، توبة تنقلنا من التيه إلى الرشاد، ومن الذلة إلى العزة، ومن التخلف إلى التقدم، توبة تجعل لنا شأنًا عند الله، وذكرًا في الملكوت الأعلى، وموطئ قدم بين الأمم، فلا فرصة أجمل ولا لحظة أتم وأكمل من أيام رمضان ولياليه للراغبين في التوبة والطالبين للعفو والمغفرة.

اللهم اجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين، واحشرنا مع أهلك وخاصتك، والحمد لله رب العالمين.

العشر الأواخر وليلة القدر وصدقة الفطر (٤)

أيها المؤمنون، هذا هو رمضان ولى وانصرم، كأنما هو طيف عابر، مر ولم نشعر فيه بمضي الزمان ولا بكرِّ الليالى والأيام. هكذا العمر يمر بنا ونحن لا نشعر، يكون بعضنا غارقاً في شهواته حتى يغزو الشيب مفرقيه، نذير أجل محتوم قد يحل بساحته، قد يحل الأجل والغافل لم يستعدَّ بعد للرحيل، فإذا حانت ساعة الميعاد، فلات حين مناص، يحمل الغافل على الأعواد، ويُدَس بين الألحاد، والذنب كثير، والعمل قليل، وحينئذ لا ينفعه أن يعض على أصبع الندم، ولا أن يهتف وينادي: يا ليتنى أردّ فأعمل غير الذي كنت أعمل، فالعمر فرصة لا تمنح للإنسان إلا مرة واحدة، فإذا ما ذهبت هذه الفرصة وولت فهيهات أن تعود.

مضى من رمضان عشرين يوما.. اجتهد فيها من اجتهد.. وقصر من قصر.. وعلا فيها فى مدارج الإيمان من علا ..

لكن تبقى هذه العشر الأواخر فرصة للمجتهدين أن يزيدوا فى اجتهادهم وأن يجنوا ثمرة عبادتهم فى هذا الشهر.

وفرصة للعصاة.. الذين قصروا فيما مضى من هذا الشهر، أن يتعرضوا لنفحة من نفحات الحق فى هذه الأيام المباركات.. لحظة قد يحياها الإنسان فى ليلة تصادف ليلة القدر فيسعد بها سعادة عظيمة.

لقد دعانا النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى اغتنام هذه الأوقات بحاله قبل مقاله، كان إذا دخلت العشر الأواخر شد المأزر، اعتزل أهله، طلق الدنيا وما عليها، ثم دخل إلى معتكفه لكى يحرص على هذه الصلة والتعرض لهذه النفحة الربانية وهو الذى قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ولكنه يفعل ذلك تعليما لأمته وحرصا على أن نقتدى به وأن نسلك نفس طريقه.

لقد صحت الآثار بأن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، بل في الوتر من العشر الأواخر، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم: ((تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)) متفق عليه ، وأصح أقوال أهل العلم والإيمان أنها تتنقل في الوتر من العشر، فسنة تكون ليلة إحدى وعشرين، وسنة تكون في غيرها من ليالي الوتر، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أريت ليلة القدر فنسيتها، وأراني صبيحتها أسجد في ماء وطين))، يقول الصحابي راوي الحديث: (فمطرنا ليلة إحدى وعشرين فخر المسجد، فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الصبح

فسجد في ماء وطين) متفق عليه. وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((تحرّوا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين)) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني، وصح عنه صلى الله عليه وسلم: ((التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين)) أخرجه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع وقوله: ((تحروا ليلة القدر، فمن كان متحريها فليتحرَّها في ليلة سبع وعشرين)) أخرجه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقد قال أبي بن كعب رضي الله عنه: (والله الذي لا إله غيره إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي جمع فيها النبي صلى الله عليه وسلم أهله والناس أجمعين فصلى بهم حتى الصبح، ليلة سبع وعشرين) أخرجه مسلم، ففي تلك السنة كانت ليلة القدر ليلة سبع وعشرين، وصح عنه صلى الله عليه وسلم: ((التمسوا ليلة القدر آخر ليلة من ليالي رمضان)) أخرجه ابن نصر في قيام الليل، وصححه ابن خزيمة والألباني، أي ليلة تسع وعشرين.

فكل تلك الروايات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم تدل بوضوح أنها لا تلزم ليلة السبع والعشرين في كل السنين، بل ربما كانت في سنة في ليلة إحدى وعشرين، وفي سنة أخرى في ليلة ثلاث وعشرين، وهكذا إلى تسع وعشرين.

ولما كان دخول شهر رمضان يختلف فيه الناس، فرب ليالٍ نعدها أوتاراً هي في واقع الأمر شفع ليست بوتر، وإذا كان الأمر كذلك فإن العبد المسدد لا يقصر نشاطه على الأوتار من العشر، بل يجتهد في العشر كلها مقتدياً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً [الأحزاب:٢١.]

وليلة القدر سميت بذلك لشرفها وعلو قدرها، فعبادة فيها تعدل عبادة في ثلاثة وثمانين سنة، وسميت بذلك أيضا لأنها تقدَّر فيها مقادير العام الذي يليها، فيفصل من اللوح المحفوظ إلى كل ملك ما وكِّل إليه القيام به في كل عام، فملك الموت يعلم الأرواح التي يقبضها في كل عام، وهكذا يفرق في هذه الليلة من اللوح المحفوظ كل أمر محكم، فيعلم به من سينفذه من العباد المكرمين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، قال الله سبحانه: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ [الدخان:٤.]

وسماها الله جل وعلا مباركة كما قال سبحانه: إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ [الدخان:٣]. ومن بركاتها أن الملائكة تتنزل فيها من السماء، كما قال سبحانه: تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا [القدر:٤]، والروح هو جبريل عليه السلام، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى)) أخرجه الطيالسي وأحمد وحسن إسناده

الألباني في السلسلة الصحيحة، ومن بركاتها ما صح عنه صلى الله عليه وسلم: ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)) متفق عليه.

فيا من فرط استدرك.

ماذا نصنع حتى نتدارك ما فات؟ ورمضان قد تهيّأ للرحيل فلم يبق منه إلا ليال .

علينا – يا عباد الله – أن نعترف بذنوبنا، وأن نتوب التوبة الصادقة النصوح، وأن نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء بالمغفرة والعتق من النار .

فاغفر لنا يا ربّنا وأعتقنا من النار، ألم تقل يا ربّنا: قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ [الزمر:٥٣]؟! ألم تقل يا ربنا: وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ [الرعد:٦]؟!

وأما من استغفر بلسانه وقلبهُ على المعصية معقود، وهو عازم بعد الشهر إلى المعاصي أن يعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول عنه مسدود، كيف لا؟ وقد قابل نداء الله: قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ بالإعراض والصدود.

أيها المسلمون، إن الاستغفار هو ختام الأعمال كلّها، فيختم به في الصلاة كما في صحيح مسلم أن رسول الله كان إذا فرغ من الصلاة يستغفر الله ثلاثا (رواه مسلم). ويُختم به في الحج، قال الله تعالى: ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [البقرة:١٩٩]. بعد هذه الشعيرة العظيمة وهي الوقوف بعرفة والحج عرفة، ينطلق الحاج إلى مزدلفة وهو يستغفر الله تعالى. ويختم به قيام الليل، يمدح الله تعالى عباده المتقين ويصفهم فيقول: ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلأَسْحَارِ [آل عمران:١٦، ١٧]، وقال تعالى كذلك في وصفهم: وَبِٱلأَسْحَٰرِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات:١٨]، قال الحسن رحمه الله: "قاموا الليل إلى وقت السحر، ثم جلسوا يستغفرون"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي من الليل ثم يقول: (يا نافع هل جاء السحر؟) فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. ويختم به كذلك في المجالس، فإن كانت ذكراً كان كالطابع لها، وإن كانت لغوا كان كفّارة لها. وكذلك ينبغي أن يختم صيام رمضان بالاستغفار، فمن أحب منكم أن

يحطّ الله عنه الأوزار، ويعتقه من النار، فليكثر من الاستغفار، بالليل والنهار، لا سيما في وقت الأسحار.

واعلموا عباد الله أن الجمع بين شهادة التوحيد والاستغفار من أعظم أسباب المغفرة والنجاة من النار، وكشف الكربات، وقضاء الحاجات. لهذا جمع الله تعالى بينهما في قوله: فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَ ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِك [محمد:١٩]، وفي قوله: لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِين [الأنبياء:٨٧.]

فأكثر . أخي المسلم . من طاعة الله لا سيما من قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأكثر من الاستغفار وغيرها من الأذكار والأعمال الصالحة قبل فوات هذه الفرصة العظيمة، فإنه إن لم يُغفر لك في هذا الشهر فمتى سيغفر لك؟ !

قال قتادة رحمه الله: "كان يقال: من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له فيما بقي."

فيا من جد، واصل ولا تغتر، حذار من الاغترار بما صنعت، وكن كمن قال الله جل وعلا فيهم: كَانُواْ قَلِيلاً مّن ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الذاريات:١٧، ١٨]، ما استغفروا إلا لاستشعارهم تقصيرَهم في جنب الله، رغم قيامهم أكثر الليل، وكن كمن قال الله جل وعلا فيهم: وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبّهِمْ رٰجِعُونَ [المؤمنون:٦٠]. وتذكر أن ما أنت فيه إنما هو بفضل الله وتوفيقه لك، فالذي أعطاك ووفقك هو الذي حرم غيرك ومنعه، فقل كما قال الصالحون: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا ٱللَّهُ [الأعراف:٤٣]. واعتبر بما قاله الله لعبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً إِلاَّ رَحْمَةً مّن رَّبّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا [الأنبياء:٨٦، ٨٧]، حتى عدها بعض السلف أعظم تهديد في كتاب الله.

فكن خافض الجناح، مجتهداً في الطاعة، خائفاً من عدم القبول، فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ [الأعراف:٩٩]، و إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ [المائدة:٢٧]. ولا تدري أتكون منهم أم لا؟

ثم اعلموا . يا عباد الله . أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم سألته إن هي أدركت ليلة القدر ما تقول فيها؟ قال: ((قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)) أخرجه أحمد وابن ماجه وصححه النووي.

اعلموا أيها المسلمون أن رسول الله فرض زكاة الفطر على المسلمين، على الذكر والأنثى والصغير والكبير، صاعًا من طعام أي صاعًا من قمح، أو صاعًا من تمر، أو صاعًا زبيب، أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من أقط، فهذه الزكاة مفروضة على كل قادر على إخراجها، كل مسلم فضَل عنه شيء من قوت يومه وقوت عياله عليه أن يخرج هذه الزكاة عن نفسه وعمَّن يعولهم، والصاع يساوي هذا اليوم كيلوين ومائتي غرام تقريبا.

واعلموا أن وقت خروجها يبدأ من غروب شمس ليلة العيد، وينتهي بانتهاء صلاة العيد، فمن أخرها إلى ما بعد ذلك فهي صدقة من الصدقات كما قال المصطفى – صلى الله عليه وآله وسلم – ، ولكنها لا تسقط عنه، ويلزمه إخراجها، ويجوز تعجيل هذه الزكاة قبل العيد بيوم أو يومين، ولكن لا يجوز تعجيلها أكثر من ذلك؛ لأن المقصود بها كما أخبرنا – صلى الله عليه وآله وسلم – إغناء الفقراء عن المسألة يوم العيد، هذا هو المقصود من هذه الصدقة، أو من أهم مقاصد هذه الصدقة، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فرض رسول الله زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات (أخرجه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب).

الزكاة (٥)

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

عباد الله : الزكاة هي الركن الثالث من أركان هذا الدين ، قال صلى الله عليه وسلم : (بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلا) أخرجه البخاري ومسلم .

وهي قرينة الصلاة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ .

وفي الصحيحين عن ابن عباس . رضي الله عنهما . أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال له : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجه مسلم .

وفي الصحيحين كذلك عن ابن عمر . رضي الله عنهما . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، يؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) .

ولذا قال الصديق ﷺ : (والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها) .

فالزكاة تطهير للمال بإخراج حق الله تعالى فيه ، وتطهير للمزكي من الشح والبخل وحب المال ، وتطهير للفقير من الحسد والبغض للغني ، ورفع لمعنوياته بقضاء حاجاته وضروراته .

والزكاة في الإسلام حق الفقراء في أموال الأغنياء ، وهذا الحق أوجبه الله عز وجل .

وهذا الحق معلوم قد حددت الشريعة مقاديره وأنصبته المختلفة في أنواع الأموال ، ولم يترك تحديده لضمائر الناس .

وحصيلة الزكاة لا تترك لأهواء الحكام ، ولا لتسلّط رجال الكهنوت كما هو الحال عند اليهود ، بل حدد الإسلام مصارفها في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وقد ورد الترهيب الشديد والوعيد الأكيد لمانعي الزكاة فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ أي : يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكماً كما في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ ، أي : هذا بذاك ، وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم .

ولهذا يقال : من أحب شيئاً وقدمه على طاعة الله عُذِّبَ به ، هؤلاء لما كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها .

كما كان أبو لهب جاهداً في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضاً ، (في جيدها) أي : عنقها (حبل من مسد) أي : تجمع من حطب النار وتلقي عليه ، ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدنيا .

كما أن هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها ، كانت أضر الأشياء عليهم في الدار الآخرة ، فيحمى عليها في نار جنهم ، وناهيك بِحرِّها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

قال بعض العلماء : لما طلبوا المال والجاه شان الله وجوههم ، ولما طووا كشحا عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ، ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتماداً عليها كويت ظهورهم .

وقيل : إنما خص هذه الأعضاء ؛ لأن الغني إذا رأى الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه ، وإذا سأله طوى كشحه ، وإذا زاده في السؤال وأكثر عليه ولاه ظهره ، فرتب الله العقوبة على حال المعصية .

وقد بينت سنة النبي صلى الله عليه وسلم كيفية هذا الكي ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها ، إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) أخرجه مسلم .

وروى البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم

يأخذ بلهزمتيه – يعني شدقيه – ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم الآية : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ أخرجه البخاري . أي : إن المال يمثل له في صورة شجاع أقرع ، والشجاع الحية الذكر ، والأقرع الذي طال عمره وسقط شعره ، والزبيبتان نقطتان سوداوان فوق العينين ، وهو أخبث الحيات ، يطوقه ثم يأخذ بشفتيه فيقول : أنا مالك ، أنا كنزك .

ولم يقف الشرع عباد الله عن حد الوعيد بالعقاب الأخروي بل هدد بالعقوبة الدنيوية كل من يبخل بحق الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فمانع الزكاة مهدد في الدنيا كذلك بزوال ماله.

وقال صلى الله عليه وسلم : (ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين) أخرجه الطبراني وحسنه الألباني . وقال صلى الله عليه وسلم : (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

أما بعد : أيها المسلمون اتقوا الله تعالى وأطيعوه وتقربوا إليه بصالح الأعمال ، واعلموا رحمكم الله أن من أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة ورغد العيش وتماسك الأمة وارتفاع معنوياتها هو تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وهذا هو المبدأ الصحيح لكل أمة تريد أن تعيش على الحق والمعروف والخير ، قال الله تعالى واصفاً حال هذه الأمة بالخيرية : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

فأخبر تعالى أن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم مقومات وأسباب النصر المبين على الأعداء ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ، أي: إن تنصروا الله بإقامة دينه وتحكيم شريعته ينصركم نصراً عزيزاً مؤزراً كما نصر نبيه على أعدائه بالرعب مسيرة شهر .

وقال تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ أي : منتصرين على أعدائهم بالحق ، فبالصلاة وصلهم سبحانه بالخيرات والبركات ، وبالزكاة زكاهم وطهرهم من داء الشح والبخل ورفعهم بعزة النفس وقوة الإيمان واليقين .

أخرج الترمذي عن ابن أبي كبشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزة ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) وصححه الألباني .

فبين بهذا الحديث وأكد بالقسم أن الصدقة لا تنقص المال إذا خرجت منه بل تباركه وتنميه وتزكيه ، وهو الصادق في قوله المصدوق من ربه .

وفي الحديث بيان فضل الصدقة وآثارها الحسنة على المزكين والمتصدقين ، وأنها لا تنقص المال ، بل تفتح للمتصدقين أموراً عجيبة من وجود المكاسب المشروعة وتيسر الأمور وسعة الرزق والبركة فيه ، وانفساح الحياة لهم على حسب إحسانهم وعواطفهم الأخوية ، وتصديقهم بالحسنى ، ولقد وعد الله المزكين بتيسير أمورهم لليسرى فقال جل من قائل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ أي : إذا بخل بزكاته وصدقته .

فهذه الأمور يا عباد الله ملموسة ومشاهدة من أحوال الناس ، فإن الله بكل خير أسرع إليه المحسن والمتصدق ابتغاء وجه الله فإنه يخلفه ويضاعفه ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

ولقد حذر النبي من البخل بالزكاة فعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مانع الزكاة يوم القيامة في النار) أخرجه الطبراني وصححه الألباني .

ألا يا عباد الله فليعلم الأغنياء المالكون لنصاب الزكاة أن الدنيا غرارة متقلبة ، فلينفقوا مما آتاهم الله ، وليؤدوا فريضة الله ، وليعلموا أن الله الذي رزقهم قادر على أن يسلبهم ما خولهم من النعم .

ألا فلنتذكر المستحقين وحاجاتهم والفقراء وفاقتهم ، ألا فلنتذكر المجاهدين في سبيل الله في كل مكان ، ألا فلنبحث عن المستحقين الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ولاسيما من الأقارب ، لا الوالدين والزوجة والأولاد ، إذ الصدقة لا تجزئ على من تلزمه نفقته ، قال صلى الله عليه وسلم : (الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحم اثنتان : صدقة وصلة) وصححه الألباني .

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ..

خطبة العيد (٦)

الحمد لله كثيراً والله أكبر وكبيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، لله الحمد عدد ذرات الرمال وقطرات البحار وورق الأشجار وقطر الأمطار لله الحمد ما تكور الليل على النهار وما انجلت الظلمة يتلوها الإسفار . وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله المهاجرين والأنصار وكل من سار على دربهم وأتبع أثرهم إلى يوم الدين .

.الله أكبر الله أكبر ولله الحمد ..الله أكبر وأجل ..الله أكبر على ما هدانا.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تحصل الدرجات وبكرمه تبدل الخطيئات ، الحمد لله على تمام الشهر وكمال الفضل ، فالفضل لك وحدك لا شريك لك ..أنت أمن به وأفضل ، فتقبل منا وأعف عنا، وتجاوز عن تقصيرنا ، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها

الله أكبر ....

إنه العيد جاء ضيفاً عزيزاً *** فاكتبوا بالمداد فيض التهاني

كبروا الله علَّ تكبيرة العيد *** تضخ الضمير في الشريان

زلزلت في القديم إيوان كسرى *** هل تهز الغداة كسرى الزمان!

لما كانت قلوبنا تردد التكبير مع الألسن نصرنا بالرعب مسيرة شهر ، وأحكمنا الأمر .

إن تكبيرنا في العيد إعلان لانتصار الدين على الدنيا والآخرة على الأولى ، فالله أكبر من الدنيا ولذائذها ، والله أكبر من كيد الأعداء (ولذكر الله أكبر) لقد دخلنا الأندلس لما كان نشيد طارق في العبور (الله أكبر) وبقينا فيها زماناً كانت الهمة تغلب الشهوة ، ذكر أهل السير أنه لما قدم لعبد الرحمن الداخل الخمر قال : إني لما يزيد في عقلي أحوج لا لما ينقصه .

الله أكبر ...

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة حتى إذا وافاه العيد في المدينة لم يشاء أن يطفئ البسمة أو يطبق الشفاه ، بل أعلن فرحة العيد وأظهر سروره به ، مع أنه يلاقي ما يلاقي من كيد الأعداء ومكرهم .. لكنها العزائم القوية والنفوس الكبيرة التي تأبى إلا الفرح بفضل الله ورحمته وعظيم فيضه ومنته ، أليس يهزك الفرح حين تسمع بانتصار المسلمين في مكان مع أن جراحاتهم في أماكن أخرى لا زالت ملتهبة ودمائهم لا زالت نازفه .. إنها النفوس الكبيرة التي تجد متسعاً للفرح بفضل الله حتى وإن عظم الجرح .. نقول هذا لأناس يريدون منا أن نقضم شفاهنا ونقتل كل فرحة ونطفأ كل بسمة يريدون أن نحول أفراحنا إلى مناحة وأن كان ذلك منهم بحسن نيته لكن هدي النبي صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل ...إن التزام المسلم للحزن والكآبة كل حين من شأنه أن يقعد النفوس عن العمل وأن يوقف الدم عن الحركة والذهن عن الفكرة فلا نستطيع بذلك أن نحرز نصراً أو نشبع جوعه أو نغيث لهفة وإنما نضع ضغثاً على إبالة !!

الله أكبر ...

العيد استمرار على العهد وتوثيق للميثاق .. فيا من وفى في رمضان على أحسن حال لا تغير في شوال ..ويا من أدرك العيد عليك بشكر النعم والثناء عليه ولا تنقض غزلاً من بعد قوة وعناء ..(((وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) (النحل : ٩٢) العيد بقاء على الخير وثبات على الجادة واستمرار في الطريق ، قال بعض أصحاب سفيان الثوري خرجت مع

سفيان يوم العيد فقال : إن أول ما نبدأ به يومنا هذا غض البصر .. ورجع حسان بن أبي سنان من عيده فقالت له امرأته كم من امرأة حسناء قد رأيت ؟! فقال : ما نظرت منذ خرجت إلا في أبهامي حتى رجعت .. هكذا فهم السلف العيد لم يجدوه فرصة للنظرات الخائنة وتقلب في المرد وأعين الغيد .. لا ((ما نظرت منذ خرجت إلا في أبهامي)) انشغال بالنفس عن الناس و تحديد لمحل النظر والانشغال به عن غيره حتى لا يطير البصر هنا أو هناك ، فاحذر الرجوع إلى الذنب بعد الطاعة فإن ذلك علامة مقت وخسران ، قال يحي بن معاذ :" من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود ، فصومه عليه مردود ، وباب القبول في وجهه مسدود."

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

العيد فرصة لتحسين العلاقات وتسوية النزاعات وجمع الشمل ورأب الصدع وقطع العداوات المستشرية .ورحم الله من أعان على إعادة مياه المودة إلى مجاريها اجعل هدية العيد لهذا العام عفو وصفح وغفران " وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم " ما أجمل أن يكون العيد فرصة لصلة المتهاجرين والتقاء المتقاطعين .إن الرجل الكريم هو من يعفو عن الزلة ولا يحاسب على الهفوة حاله كما قال الأول :

وإن الذي بيني وبين بني أخي *** وبين بني عمي لمختلف جدا

إذا نهشوا لحمي وفرت لحومهم *** وليس زعيم القوم من يحمل الحقدا

نعم ليس زعيم القوم من يحمل الحقدا ..ليس كريماً ولا عظيماً ولا سيداً من يجمع الأحقاد ، ويحمل الضغائن ويداوم على الجفاء والقطيعة . إنه لابد لتحسين العلاقات من نفوس كبيرة تتسع لهضم البغضاء وقضم العداوات . (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى : ٣٧) لقد دعا الإسلام إلى احتواء النزاعات بفعل المعروف – خاصة مع الأقارب – واعتبر ذلك من أفضل البر فعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الصدقة : الصدقة على ذي الرحم الكاشح) رواه أحمد وغيره

فأصلحوا ذات بينكم (ولا يصدنكم الشيطان) فإنه قد يزين للمسلم أن هذا التنازل عن الحقوق والصفح عن الهفوات نوع ضعف وعجز ومهانة ، ولئن يؤثر المسلم أن يقال فيه ذلك خير له من أن يقع في بحور القطيعة وخطيئة التدابر وفي الحديث ((يأتي عليكم زمان يخير في الرجل بين العجز

والفجور فمن أدرك ذلك الزمان فليختر العجز على الفجور)) (رواه أحمد ٢/٢٧٨) وفي الحديث الصحيح (وما زاد الله عبداً بعفو إلى عزا) و (إذا التقى المسلمين فخيرهما الذي يبدء بالسلام.(

الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله ا لحمد

إن على المرأة القيام بخدمة الزوج والقيام معه بالطاعة ، ورعاية أولاده وحفظ ماله ومتاعه فإن لك بذلك عظيم الأجر وجزيل العطاء ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :(أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضي دخلت الجنة) رواه الترمذي وقال حديث حسن . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا صلت المرأة خمسها وصامت فرضها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي من أي أبواب الجنة شئت) رواه الخمسة وصححه الألباني . وروى الطبراني في معجمه وصححه الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بنسائكم في الجنة (يعني نساء الدنيا) قلنا بلى يا رسول الله قال: الولود الودود التي إذا غضبت أو أسئ لها إليها أو غضب زوجها قالت :هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى) . ولعلك سمعت بخبر وافدة النساء التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأل لكن ، تلك هي أسماء بنت يزيد بن السكن قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين ،كلهن يقلن بقولي وعلى مثل رأي ، إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء فآمنَّا بك وأتبعناك ،ونحن معاشر النساء مقصورات مخّدرات قواعد بيوت وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم وأولادهم ،أنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه فقال : هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها فقالوا : بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم :انصرفي يا أسماء وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته وإتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال)) أخرجه احمد والدرامي والطيالسي وصححه الألباني . أما لك أسوة حسنة في عباسة بنت الفضل زوجة الإمام أحمد فقد قال عنها الإمام أحمد : أقمت مع (أم صالح) ثلاثين سنة !! فما اختلفت أنا وهي في كلمة !! ثم ماتت رحمها الله).

على الزوج أيضاً أن يتقي الله في زوجته فلا يظلمها ولا يضربها عليه أن يحفظ لها قيمتها وقدرها خصوصاً عند أولادها. وحين يرى أحد الطرفين من الآخر ما يسوؤه فليتذكر محاسنه وجوانب الكمال فيه فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا يفرك مؤمناً مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)) رواه مسلم

تسامح ولا تستوف حقك كله *** وأبق فلم يستوف قط كريم

الله أكبر ....

وأنت تعيش العيد لا تنسى أن تعيشه بروح الجسد الواحد فتذكر إخوانك في فلسطين وما يلاقونه من اليهود الغاصبين ، وفي بورما وفي سوريا، عليك بكثرة الدعاء لهم ، وأجعل من موسم العيد إعادةً لقضيتهم ونشراً لصحيح أخبارهم ..وتذكر أنهم يعيشون العيد تحت قذائف الطائرات ودوي الدبابات ،كان الله لهم في العون وربط على قلوبهم وثبت أقدامهم .

الله أكبر ..

·إن نصر هذه الأمة قد انعقد غمامه وقد أقبلت أيامه فأحسنوا الظن بربكم واجمعوا مع الأمل حسن العمل ، واعلموا أن الشدائد التي تمر بها الأمة هي أمارات ميلاد جديد بإذن الله فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا

ألا وإن من السنة أن يهنئ المسلمون بعضهم بعضاً في العيد، وأن يصافح بعضهم بعضا، وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم مخالفة الطريق في العيد فعودوا من غير الطريق التي قدمتم فيها اقتداء بنبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)).

دعـــاء .....

المواعظ

بشائر وفضائل (١)

إن مشهد رمضان من المشاهد الحية في حياة المسلمين ، وهذا من توفيق الله تعالى وفضله، فمشاهد الخير ، وأيام الطاعة ، إذا تحقق للمسلم شهودها كان ممتنّاً بنعمة الله وفضله ، وشهر رمضان من هذه المشاهد العظيمة في حياة المسلمين ، ينتظرونه في كل عام مرة ، ويشهدون بلقياه عظيم الفرحة في قلوبهم . وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعُدّ شهود هذا الشهر من نعم الله تعالى فيبشر به عند قدومه حيث جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: ((قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم)) (رواه النسائي والبيهقي وأحمد وصححه أحمد شاكر رحمه الله) . وفي صحيح السنة ما يبين بجلاء عن فضائل عظيمة تصحب هذا الشهر ، وتحل مع قدومه ، وهي كثيرة عظيمة نسوق بعضاً منها . فمن هذه الفضائل :

أنه يغفر الذنوب ويكفّر السيئات : قال صلى الله عليه وسلم في : ((من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)) (متفق عليه)

ومن فضائله : أن الله تعالى خص نفسه بجزاء الصوم دون غيره فقال صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : ((كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)) (متفق عليه)

ومن فضائله : أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة : قال صلى الله عليه وسلم : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أي ربي منعته الطعام فشفّعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفّعني فيه ، قال : فيشفعان .(رواه الإمام أحمد وصححه الألباني).

ومن فضائله : أن الصوم وقاية وحجاب من النار قال صلى الله عليه وسلم : الصيام جُنّة يستجن بها العبد من النار .(رواه الطبراني وصححه الألباني)

ومن فضائله : أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . قال صلى الله عليه وسلم : ((لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)) (متفق عليه)

ومن فضائله : أن للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه .(متفق عليه)

ومن فضائله : أن الله جعل للصائمين باباً خاصاً يدخلون منه يوم القيامة . قال صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لايدخل منه أحد غيرهم يقال : اين الصائمون فيقومون فيدخلون ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل أحد)) (متفق عليه)

ومن فضائله : أن العمرة فيه تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال عليه الصلاة والسلام لأم سنان مالك لاتحجي معنا قال : إن فلان له ناضحان حج على أحدهما ، والآخر نتسقي عليه فقال صلى الله عليه وسلم : اعتمري في رمضان فإن عمرة في رمضان كحجة معي .(متفق عليه).

وفقنا الله وإياكم لاستقبال شهرنا ، وجنبنا الله عواقب الحرمان .

القرآن الكريم وشهر رمضان (٢)

القران الكريم يحب رمضان ، ورمضان يحب القران الكريم ، فهما صديقان حبيبان . قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)(البقرة: من الآية١٨٥.(

نزل القران الكريم كله إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ في رمضان ، وتشرف هذا الشهر بنزول هذا الكتاب فيه ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتدارس القران الكريم مع جبريل عليه السلام في رمضان ، يسمعه ويتدبره ويتلوه ويتأمل عبره ، ويعيش أنداءه ، ويسرح طرف القلب في خمائله ، ويطلق كف الحب في كنوزه.

القران الكريم في رمضان له طعم ومذاق ، وله إيحاءات خاصة ودلالات من نوع آخر.

القرآن الكريم في رمضان مخضل الانداء معطر النسمات شذي الأنفاس.

القرآن الكريم في رمضان يعيد ذكرى نزوله ، وأيام تدارسه ، وأوقات اهتمام السلف به.

صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه" وقال صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" وقال عليه الصلاة والسلام " اقرءوا الزهراوين ، سورة البقرة وآل عمران ، فانهما تأتيان كغمامتين تظلان صاحبهما يوم القيامة " وقال

عليه الصلاة والسلام" الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي قرأ القرآن وهو يتعتع فيه له أجران.

سمعتك يا قران والليل غافل سريت تهز القلب سبحان من أسرى

فتحنا بك الدنيا فاشرق صبحها وطفنا ربوع الكون نملؤها أجرا

أسلافنا إذا قدم رمضان فتحوا المصاحف وحلوا وارتحلوا مع القران الكريم.

ثبت عن الإمام مالك أنه كان في رمضان لا يتشاغل إلا بالقرآن الكريم، وكان يعتزل التدريس والفتيا والجلوس للناس ، ويقول شهر القرآن الكريم.

بيوت سلفنا كان لها في رمضان خاصة دوي كدوي النحل ، تشع نورا وتملأ سعادة ، كانوا يرتلون القرآن ترتيلا ، يقفون عند عجائبه ويبكون عن عظاته ، ويفرحون ببشارته ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه.

صح أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسولنا صلى الله عليه وسلم أول سورة النساء فلما بلغ قوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً) (النساء:٤١) قال له عليه الصلاة والسلام " حسبك الآن " قال . فنظرت فإذا عيناه تذرفان ، إنه المحب سمع كلام حبيبه فبكى:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

فأما من بكى فيذوب وجدا لأن به من التقوى حراكا

صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه استمع لأبي موسى رضي الله عنه ثم قال له " لو رأيتني وأنا استمع إلى قراءتك البارحة ، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود" فقال أبو موسى : لو علمت يا رسول الله أنك تستمع لي لحبرته لك تحبيرا. والمعنى لجملت صوتي أكثر وأكثر ، فجعلت القران الكريم به أكثر تأثيرا وروعة وجمالا.

كان عمر رضي الله عنه إذا اجتمع الصحابة قال : يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيندفع أبو موسى يقرأ بصوته الجميل وهم يبكون:

وإني ليبكيني سماع كلامه فكيف بعيني لو رأت شخصه بدا

وتلا ذكره فحن حنينه وشوق قلوب العارفين تجددا

فهل لنا أن نعيش مع القران الكريم في رمضان وغير رمضان ، وهل لنا أن نعرف عظمة القرآن الكريم فنملأ حياتنا سعادة بالقران الكريم ، ونورا بالقران الكريم ، وإشراقا مع القران الكريم ، هل لنا أن نفعل ذلك ؟

فلا يرفث ولا يجهل (٣)

فإن الصيام الذي أوجبه الله تعالى على عباده في هذا الشهر الكريم ، يتجاوز معناه مجرد ترك الطعام والشراب و أرشد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك حين قال عليه الصلاة والسلام : ((قال الله تعالى : كل عمل ابن له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنّة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يجهل ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم .....)) (متفق عليه) . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى معلقاً على الحديث : فلا يرفث : المقصود بالرفث الكلام الفاحش ، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته ، وعلى ماذكره مع النساء أو مطلقاً ، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها . وقوله : فلا يجهل : أي لا يفعل شيئاً من أفعال الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك . اهـ وفي هذا الحديث بيان للمشروعية التي شرع من أجلها الصيام . إن الكف عن أعراض الناس بعدم الجهل أو التطاول عليها أمر حددته مشروعية الصيام ، وإذا لم نحققه في حياتنا واقعاً ملموساً فإن في صومنا قدح وشرخ لمخالفتنا لهذه الوصية العظيمة من وصايا نبينا صلى الله عليه وسلم . ولك أن تتأمّل هذه الوصية جيداً ثم تعرض حال الصائمين عليها خلال أيام صومهم لتجد فرقاً وبوناً شاسعاً بين هذه الوصية وواقع الناس أثناء صومهم . ولك أن ترى ذلك الصائم الذي جاع وعطش من أثر الصيام وبان ذلك على محياه ثم في الوقت ذاته لا تجده يرعوي عن الخصومة الجائرة لأدنى خلاف ، ثم قد يتجاوز في خصومته الأدب الإسلامي فيسب من خاصمه ، ويقدح في عرضه ، ويفشي سره ، ويهتك عرضه ناسياً أو متناسياً هذا التوجيه الرباني العظيم فأي معنى للصيام ؟ ولك أن ترى في صورة ثانية ذلك الذي يجلس المجالس الطويلة فلا تجد ما يتحدث به غير الغيبة التي يتسلى بها على أعراض المسلمين ، فيذكر من أخبارهم ، وحياتهم ما يقدح في أشخاصهم ، ويثلب مقاماتهم ، ونسي المسكين أنه أبخس صومه حين تجاوز هذه المحرمات ، فصام بطنه عن الطعام والشراب وأفطر لسانه على كبيرة من كبائر الذنوب ، وتناسى

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أتدرون ما المفلس ؟ فقالوا : المفلس منا من لادرهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار)) . (رواه مسلم) وقد قرر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره : أن الغيبة كبيرة من كبائر الذنوب . وأن الله تعالى صور المغتاب في صورة بذيئة حين حكى عنه أنه يشبه من جثى على أخيه وهو مستلق ميت فجعل يأكل من لحمه كما قال الله تعالى : ((ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ... الآية)) سورة الحجرات ، أو لك أن ترى ذلك الصائم الذي يصوم بطنه عن الطعام والشراب بينما عيناه تتسلّق إلى عورات المسلمين ، فيرنو بطرفه هناك إلى سُتر بيوت مرخاه ليكشف سترها ، ويشيع الفاحشة فيها ، أو يرنو بطرفه إلى قناة فضائية يشهد فيها بعينه صور نساء عاريات يتسلى بهذا الوقت إلى بلوغ الغروب ، ونسي المسكين أن شمسه غربت جداً حين طمس بعينه في ما يسخط الله تعالى . أو لك أن ترى في صورة أخرى صائم يتسلى لقضاء وقته بشريط غنائي يلهو عليه ، ويبعثر به وحشية الشهوة ، ويثير في حياته التطلع إلى الحرمات . أو قل ربما يكون صائم عن كل ذلك ، وتحقق في يومه معاني الصيام التي جاءت بها الأحاديث لكنه في المقابل ينتظر الإفطار بفارق الصبر لا ، ليحمد الله على قضاء يوم في حياته بهذه الروحانية إنما ينتظر أن يشعل سيجارة تافهة في زوايا بيته أو ربما يتمنى عجلة من الوقت ليركب سيارته متجهاً في ساعات مبكرة إلى إحدى المقاهي المجاورة . إلى غير ذلك من الصور التي تخالف هذا التوجيه الرباني الكريم . عافانا الله وإياكم من البلاء والخذلان ووفقنا إلى معرفة الحق والأخذ به ، وجعلنا ممن يقومون بواجب هذا الشهر على وجه التمام ، والله المستعان وعليه التكلان.

تدبر القرآن (٤)

لقد كان القرآن الكريم مدرسة ربانية تربى فيها المسلمون الأوائل حينما أدركوا أن الفلاح والنجاح منوطاً بالإقبال على هذا القرآن وفهم معانية ، ولذلك كانت قراءتهم قراءة تدبُّر ، وفهم للمعاني ، ونقلت لنا السير حال القوم عند قراءة القرآن والإقبال عليه فهذا رسول الهدى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء . (رواه أهل السنن والإمام أحمد) . وبات ليلة من الليالي يقرأ آية ويرددها حتى بلق الفجر وهي قوله تعالى : ((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن

تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم .)) سورة المائدة (١١٨) ، وهذا ابن مليكة رحمه الله تعالى يقول : سافرت مع ابن عباس . رضي الله عنهما . من مكة إلى المدينة فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً ثم يبكي حتى تسمع له نشيجاً، ويقول إسحاق ابن إبراهيم الطبري عن الفضيل بن عياض . رحمه الله تعالى . كانت قراءته شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل . وعن سعيد بن جبير . رحمه الله تعالى . أنه أحرم بنافلة فاستفتح إذا السماء انفطرت فلم يزل فيها حتى نادى مناد السحر . وعن عامر ابن عبد قيس . رحمه الله تعالى . أنه قرأ ليلة سورة (غافر)، فلما انتهى إلى قوله تعالى ((وأنذرهم يوم الآزفة إذِ القلوب لدى الحناجر كاظمين))، فلم يزل يرددها حتى أصبح ، ونقل عنه أنه قرأ قوله تعالى ((فقالوا ياليتنا نُرد ولا نكذّب بآيات ربنا)) الأنعام (٢٧) . فجعل يبكي ويرددها حتى أسحر . وردد الحسن البصري رحمه الله ليلة : ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) النحل (١٨) ، حتى أصبح فقيل له في ذلك فقال : إن فيها معتبراً ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة ، ومالا نعلمه من نعم الله أكثر . وبات تميم الداري يردد قول الله تعالى : ((أم حسب الذين يعملون السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)) الجاثية (٢١).

قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : هذه كانت عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح . . وقال رحمه الله تعالى : فإذا قرأه بتفكّر حتى إذا مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه ، كررها ولو مئة مرة ولو ليلة ، فقراءة آية بتفكّر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبّر وتفهّم ، وأنفع لقلب ، وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن .

أفلا ترون أيها الصائمون أننا في أمس الحاجة إلى هذه النوعية من الإقبال والقراءة والتدبّر ؟ إن أخذ كتاب الله تعالى على أنه مصدر عز الأمة وفلاحها هو الحل لأن نعود إلى هذا القرآن من جديد . وحين يتحقق ذلك في واقع الأمة تحقيقاً عملياً حينها يمكن أن نحقق لذواتنا وأمتنا الأمل المنشود .

نفعنا الله وإياكم بالقرآن ورزقنا تبره وفهم معانية إنه ولي ذلك والقادر عليه .

حسن الخلق (٥)

لقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثالاً واضحاً لحسن الأخلاق في شهر رمضان حين قال صلى الله عليه وسلم : (..... فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امرؤ صائم) (متفق عليه) فيرسم النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر هذا المثال أوضح المعاني على تأثُّر الصائم الكريم

بالأخلاق الفاضلة ، وهذا المعنى واضح جداً من سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين زكاه الله تعالى بقوله : ((وإنك لعلى خلق عظيم)) سورة القلم (٤) ، وحين سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت في أروع تعبير وأشمله : كان خلقه القرآن . ومنزلة الأخلاق عظيمة جداً في ميزان الإسلام فهاهو صلى الله عليه وسلم يقول : ((ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق) (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني) وفي رواية : وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة . وفي رواية له : (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء) . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم) (رواه أبو داود وصححه الألباني) وفي حديث أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : (تقوى الله وحسن الخلق) (رواه الترمذي وصححه الألباني) وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (..... أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) (رواه أبو داود وحسنه الألباني) . وفي حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون) (رواه الترمذي وحسنه الألباني) . إن الأخلاق الكريمة هي التي يجد فيها الإنسان عند الآخرين نوعاً من الدفء الروحي الذي يجعله يتقرب إليهم دون أن يشعر أنهم يأسرونه بهذه الأخلاق . وكلما كان الإنسان رفيقاً رحيماً يملئ حياته العطف ويفيض على روحه الحنان كلما كان مألوفاً لدى من يعاشره أو يجالسه ، ومتى ما كان الإنسان كذلك فتحت له أبواب الرحمة على مصراعيها .

إن الصائم أيها المسلمون يجد ألم الجوع وحرارة الظمأ تستعر في قلبه مما يولد لديه ضيق الأفق فيتصرف أحياناً تصرفات غير لائقة مع من يلقاه من الناس نتيجة هذا الجوع والعطش . أما من يدرك هذه الفضائل التي رتّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجر على تحقيقها فإنه مهما قابل في طريقه فإنه يبقى حريصاً على تحقيق معاني الصوم الحقيقية في حياته فلا يجد تعبيراً أصدق من قوله للطائشين الذين لا يدركون معنى الصيام من قوله : اللهم إني صائم . إن أولئك الذين يتجاوزون هذه المعاني لم يرتوا بعد من هذه التعاليم التي أسداها إليهم نبي الهدى صلى الله عليه وسلم ، وتمثّلها واقعاً حياً في حياته صلى الله عليه وسلم . وآن اليوم بالذات أن نراجع أنفسنا ، وأن نعيد ترتيب ذواتنا من جديد . والخصام والنزاع في أيام شهر رمضان بالذات دليل على فقد روحانية الصيام ، وضعف تأثيره في النفوس ، بل هو في حد ذاته إدبار عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم

حين ارشد إلى هذا العلاج عند حدوث مثل هذه النزاعات . جعلنا الله وإياكم مّمن تمثّل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حياته في كل شئون حياته .

رمضان فرصة لترك التدخين (٦)

فإن التدخينَ وباءٌ خطير، وشرٌ مستطيرٌ، وبلاءُ مدمرٌ، وقد وقع في شَرَكِه فِئامٌ من الناس، وكثيرٌ مِنْ أولئك يملكون قلوباً حية، وعواطفَ للإسلامِ قوية، إلا أنهم بلوا بالتدخين.

وأكثرُ هؤلاءِ لا يكابرونَ في ضررِ التدخين، ولا يشكُّون في أثرِهِ وحرمتهِ، بل تراهم يؤمِّلونَ في تركهِ، ويسعونَ للخلاصِ منهُ؛ فلهؤلاءِ حقٌّ على إخوانهم أن يعينوهم، ويأخذوا بأيديهم خصوصاً في هذا الشهر الكريم.

اسمح لي أيها الأخُ المدخن بالحوار معكَ مدةً يسيرةً؛ عسى أن نصل إلى نتيجة مُرْضِيَةٍ.

أخي الحبيب: ألستَ مقتنعاً من حُرْمِةِ التدخين، ومن أثرِهِ البالغ؟ ألا تفكر جاداً في تركهِ إلى غيرِ رجعة؟ ستقول: بلى، ولكن آملُ أن أزدادَ قناعةً بضررِ التدخين، وإمكانيةِ تركه، ويقالُ لكَ: إليكَ ما تريد، فأعِر سَمْعَك قليلاً، وأَصْغِ فؤادك لما يقال:

أولاً: أيها الحبيب: تذكر قبلَ كل شيء أنك عبدٌ لله، وأكْرِم بها من عبودية، فعبوديتُكَ لله تحررُكَ من كلِّ شيء حتى من نفسِكَ التي بين جَنْبَيك، فتصبحُ حراً طليقاً عبداً لربٍّ واحدٍ لا لأربابٍ متفرقين. وإن مقتضى عبوديتك لله أن تُطيعَه فلا تعصيَه، وذلك عنوان فلاحك وسعادتك، إذا تقررَ هذا عندك، فتذكر أن الدخانَ خبيثٌ، وأنه تبذيرٌ وإسرافٌ، وأنه قتلٌ للنفس، وإلقاءٌ باليد إلى التهلكة، وأنه إيذاء للمسلمين؛ فهل هذه الأمور من طاعةِ الله، أو من معصيتِه؟

ثانياً: التدخين يبعث على النفور منك، ومن مجالستك، بل والسلام عليك؛ لأن رائحتك لا تشجع على شيء من ذلك.

ثالثاً: التدخين قد يتسبب في حرمانك من نعمة الذرية؛ فهو يضعف النسل، ويضعف القدرة الجنسية، بل وربما قاد إلى العقم.

رابعاً: وإذا رزقت بأولاد فربما تعرضوا للتشويه، ونقص النمو، وزيادة العيوب الخلقية؛ فللتدخين أثرٌ بالغٌ على صحة أولاد المدخن.

خامساً: وإذا رزقت أولاداً فلا شك أنك ترغب في صلاحهم واستقامتهم ورجولتهم، وإذا كنت مدخناً ربما كانت النتيجةُ عكسَ ذلك؛ فربما تسببت في إغوائهم، وانحرافهم؛ لأنهم مُوْلَعُون بمحاكاتك وتقليدك.

سادسا: بالتدخين تساهم في خذلان أمتك، ودعم أعدائها الذين يحاربونها ليل نهار.

سابعا: بالتدخين تُقصِّر عمرك، وتهدد حياتَك بالفناء؛ فمعظم وفيات العالم الصناعي إنما هي بسبب التدخين؛ حيث يموت سنوياً في العالم بسبب التدخين وحده مليونان وخمسمائة ألف شخص؛ فالدخان يجلب لك الموت العاجل، فضلاً عن أن سنواتِ العمرِ الأخيرةَ تكون معاناةً من الأثر السيء للدخان.

وقد أجمعت البحوث العلمية على أن السجائر هي من كبرى المهلكات التي تصيب الإنسان بالعجز، وتهدده بالفناء.

ثامنا: التدخين يعرضك للجلطة، وتصلُّب الشرايين، وموت الفجأة، وسببٌ رئيسٌ للسرطان بأنواعه المتعددة؛ فهو سبب لسرطان الرئة، والحنجرة، والشفة، والبلعوم، والمريء، والبنكرياس، والمثانة، والكُلى، ويسبب الربوَ، وضيقَ النَّفسَ، والسعالَ، والبصاقَ، وضَعفَ كفاءةِ الرئة، وسوءَ الهضم، وتليّفَ الكبدِ، والسكتةَ الدماغيةَ، والذبحةَ الصدريةَ، وإصابةَ شرايينِ المخِّ بالتصلّب، ويسبب الغثيانَ، والإمساكَ المزمنَ، والصداعَ، والأرقَ، والفشلَ الكُلويَّ، وضعفَ السمعِ، وفقدانَ حاسةِ الشم أو إضعافَها، وضعفَ الجهاز المناعي، والاستعدادَ للإصابة بأمراض خطيرة، وزيادةَ أمراض الحساسية، والتهاباتِ الجلدِ، وقُرْحَة المعدة، والاثني عشرَ.

تاسعا: التدخين يثلم مروءتَك، ويُنْقِص من قدرك، ويدل على ضعف إرادتك.

عاشرا: التدخينُ يثقِلُ عليك العبادةَ، ويدعوك لمخالطة الأشرار والأراذل، ويزهِّدك بالأكابر، والأخيار، والأفاضل.

الفرائض والنوافل (٧)

فإن العبد الصالح متى ما التزم العبادة ، وتمسّك بها قرُب من ربه تبارك وتعالى ، ولا زال سائراً في طريق العبودية حتى يصل لدرجة الولاية فقد صح في الحديث القدسي أنه – صلى الله عليه وآله وسلم – قال فيما يرويه عن ربه: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبد ي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)) (رواه البخاري). فالصلاة صلة بين العبد وربه ، وحبل متين في تحصيل هذه الولاية. وحين يحافظ المسلم الصائم على هذه الفريضة ، بتحصيل أركانها ، وواجباتها ، وشروطها ، ويقيمها القيام الأمثل وفق ما جاءت بالسنة حينها إنما يتعرّض لنفحات ربه ، وكرم مولاه ، وفضل خالقه الذي جاء في أحاديث متكاثرة في الفرض والنافلة.

ففي الفريضة يقول صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن مالك رضى الله عنه: ((من صلى لله أربعين يوماً يدرك التكبيرة الأولى ، كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق .)) (رواه الترمذي وحسنه الألباني) وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ، ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه ، إلا تبشبش الله إليه كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته. (رواه ابن خزيمة وصححه الألباني) وقال صلى الله عليه وسلم : ((من صلى الصبح فهو في ذمة الله ... الحديث) (رواه الترمذي وصححه الألباني). وقال صلى الله عليه وسلم : ((من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله)) (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني).

وفي باب النافلة يقول صلى الله عليه وسلم :: ((ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة ، أو بُني له بيت في الجنة)) (رواه مسلم). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر ، وأربع بعدها ، حرّمه الله على النار)) (رواه الخمسة) وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً)) (رواه أبو داود). وعن عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب)) ثم قال في الثالثة : لمن شاء .(رواه البخاري). وعن أبي ذر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة : فبكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف

صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى)) (متفق عليه) . ومن أعظم النوافل في هذا الشهر الكريم : قيام الليل ، قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله يتنزل في ثلث الليل الآخر من كل ليلة فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأستجيب له ..... وذلك في كل ليلة .)) . (متفق عليه).

جعلنا الله وإياكم من أهل الصلاة المحافظين عليها .

شهر الإنفاق (٨)

إن من أعظم الصور التي يحملها رمضان للأمة صورة من الألم والعطش يجد حرارتها ومس ألمها الصائم حينما يرى الماء والطعام أقرب ما يكون إلى يديه، ومع كل ذلك يراها أبعد شيء إليه تحقيقاً لعبودية الله تعالى . إن هذه الصورة تنقل كل مسلم إلى صور الفقراء والمعوزين والأرامل والأيتام، ونحن نراهم يعيشون أنواعاً من الجوع والعطش ، وذلك نتيجة الفقر الذي أصابهم ويجدون حرّه وألمه. ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى تلبية هذه المشاعر ، وإرواء عطشها ، وسد رمق جوعها . فقد كان من دأب النبي صلى الله عليه وسلم في كل حياته أنه لا يرد سائلاً ، ولا يمنع طالباً ، وإذا جاء رمضان زاده تحلياً بهذه الأخلاق، ولذا جاء في الصحيحين من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

أيها الصائمون : الصدقة برهان كثير من النفوس الصادقة الباذلة حين تتجاوز شهواتها إلى تعميق أثر الأخوة بمزيد من الإحسان . وخير ما يدفع إلى تمثّل هذه الفضائل تلك الآثار التي تحدثها الصدقة لأصحابها حين يبذلون . ومن هذه الآثار :

أولاً : علو شأنها ، ورفعة منزلة صاحبها :

ففي حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((وإن أحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مؤمن ، تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً)) (رواه أبو الشيخ وحسنه الألباني)

ثانيا: وقايتها للمتصدق من البلايا والكروب :

فالصدقة لها أثر عجيب على المتصدق فقد تقيه من البلايا والكروب التي تحل بها وتكون بعد أمر الله تعالى سبباً في دفع هذه المصائب . قال صلى الله عليه وسلم : صنائع المعروف تقي مصارع السوء . (رواه الطبراني وحسنه الألباني) . وقال صلى الله عليه وسلم : ((داووا مرضاكم بالصدقة)) (رواه أبو داود وصححه الألباني) . وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة في ركبته لها سبع سنين وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر في محل يحتاج الناس فيه إلى الماء . وقد ذكر ابن حجر الهيتمي في كتابه الزواجر : أنه تقرّح وجه أبي عبد الله الحاكم قريباً من سنة ، فسأل أهل الخير الدعاء له فأكثروا من ذلك ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بُنيت على باب داره وصب فيها الماء ، فشرب منها الناس فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه أحسن ما كان . والأمر كما قال المناوي رحمه الله في كتابه فيض القدير : وقد جرّب ذلك الموفقون . التداوي بالصدقة فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل مالا تفعله الأدوية الحسية ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو ظالم ، بل من كافر ، فإن الله تعالى يدفع عنه بها أنواعاً من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه .

ثالثا : اطفاؤها الخطايا وتكفيرها الذنوب:

قال صلى الله عليه وسلم : ((تصدقوا ولو بتمرة ، فإنها تسُد من الجوع ، وتُطفيء الخطيئة ، كما يطفى الماء النار)) . قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : وإذا كان الله تعالى قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه ، فكيف بمن سقى العطاش وكسا العراة من المسلمين

رابعا: أنها تبارك المال وتزيد في الرزق :

وفي الحديث القدسي : يا ابن آدم : أنفق أُنفق عليك . (متفق عليه) . وقوله صلى الله عليه وسلم : ما فتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة . . وقوله صلى الله عليه وسلم : ما من يوم يصبح فيه العباد فيه إلا ملكان ينزلان يقول احدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً . (متفق عليه). وقال صلى الله عليه وسلم : بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان . فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرّة فإذا شرجه قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان . للاسم الذي سمع في السحابة . فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ فقال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه . يقول : اسق حديقة

فلان . لاسمك . فماذا تصنع فيها ؟ قال : أما إذا قلت هذا ؛ فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثه ، وأرد فيها ثلثه)) وفي رواية : ((واجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل)) . (مسلم)

ورمضان اليوم فرصة عظيمة أيها الصائمون لبذل المال وإنفاقه في وجوه الخير ، وكم من يتيم يترقرق الدمع في عينيه لا يجد من يواسيه ، وأرملة أقعدها الزمن ، وأطفال يعيشون ذل الفقر. ما أحرانا برعاية كل هذه الفئات ، والبذل لهم ، ولولم يتحقق للمتصدقين إلا بعض هذه الفضائل فقط لكان كافياً بالمرء أن يجهد لتحصيل ذلك بمزيد من الجود والعطاء . وفقكم الله إلى كل خير وجعلكم غوث إخوانكم المستضعفين في كل مكان وزمان .

الذكر فضائل وثمار (٩)

فإن شهر رمضان من أنفس الأوقات في حياة المسلم ، وهو من الفرص العظيمة التي قد لا تتكرر مرة أخرى ، ولذا كان من المهم جداً في حياة المسلم أن يغتنم أيامه ولياليه في القربات ، فالذكر قوت القلوب ونعيمها ، وسر حياتها وحبورها . وذكر الله تعالى من الطاعات التي ينبغي العناية به إذ هو كما يقول ابن القيّم رحمه الله تعالى : الذكر من أيسر العبادات ، وهو من أجلّها وأفضلها ، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق ذلك عليه غاية المشقة ، بل لا يمكنه ذلك.

وفي طيات السنة النبوية أحاديث متكاثرة تبين عن فضل هذه العبادة وشرفها للمؤمن . من هذه الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .)) (متفق عليه) . وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ؛ ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس)) (مسلم) . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مئة حسنة ، ومحيت عنه مئة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه)) . (متفق عليه) وقال صلى الله عليه وسلم : ((من قال : سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حُطّت خطاياه وإن

كانت مثل زبد البحر)) (متفق عليه) . وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟ قال : ((يسبح مئة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يُحط عنه ألف خطيئة)) (مسلم) . وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)) (متفق عليه) ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سبق المفرّدون)) قالوا : وما المفرّدون يارسول الله ؟ قال : ((الذاكرون الله كثيراً والذاكرات)) (مسلم) . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ((ذكر الله تعالى)) (الترمذي) . قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : وفي الذكر نحو من مئة فائدة : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره ، وأنه يرضي الرحمن عز وجل ، وأنه يزيل الهم والغم عن القلب ، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط ، وأنه يقوّي القلب والبدن ، وأنه ينوّر الوجه والقلب ، وأنه يجلب الرزق ، وأنه يكسوا الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة ، وأنه يورث المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة ، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره . وأنه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدّس الله روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟ وأنه قوت القلب والروح فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته . وحضرت شيخ الإسلام مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ، ثم التفت إليّ وقال : هذه غدوتي ولولم أتغذ هذا الغذاء سقطت قوتي ، أو كلاماً قريباً من هذا . اهـ هذه بعض من الآثار التي وردت في فضل الذكر ، وهذه بعض فوائده ، وحريّ بنا في شهر رمضان أن نقبل على هذه العبادة ، وأن نعبّ من معينها ، فثمارها قريبة ، وغنيمتها كبيرة ، وإن لم يكن رمضان من الفرص التي يمكن أن تعمّق هذه العبادة في نفوسنا فمتى تأتي الفرص؟ .وفقنا الله وإياكم لاغتنام أيام هذا الشهر . إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الدعاء ثمار وفوائد (١٠)

إن الدعاء نوع من أنواع العبادة ، يتصل فيه الإنسان بالله تعالى ، يبرء من حوله وقوته ويلجأ إلى الله تعالى راجياً منه فضل نعمة أو متمنياً زوال بأس ونقمه . هذا الدعاء سبب تنال به المكرمات ، وتدفع به المآسي والويلات ، فكم من دعاء جلب من خير ! وكم من دعاء حال دون وقوع الويل . وليت شعري من يفقه قول عمر حين قال : إني لا أحمل هم الإجابة ولكني أحمل هم الدعاء . وصدق رحمه الله تعالى فإن كثيراً من الناس تغفل عن هذا الجانب وفيه سر حياتها ، وتحقيق آمالها . لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدر الله تعالى حافظاً لهذه الأمة من الضياع ، وجالباً لها الخيرات . جاء ذلك في ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ((رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني)) الآية . وقال عيسى عليه السلام : ((إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)) فرفع يديه وقال : ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى . فقال الله عز وجل : يا جبريل ! اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال : وهو أعلم فقال الله : يا جبريل ! اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك . (مسلم) . وقد جاءت النصوص الشرعية بفضائل عظيمة ، وخيرات متكاثرة تتحقق بالدعاء أرشد إليها نبي الهدى صلى الله عليه وسلم ومنها : : أن الله يجيب الداعي إلى ما دعاه كما قال صلى الله عليه وسلم : ((إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة)) (مسلم) ومن فضائل الدعاء أن له بدعوته إحدى ثلاث كما قال صلى الله عليه وسلم : ((ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا اعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يعجّل له دعوته ، وإما أن يؤخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها)) (أحمد) . ومن فضائل الدعاء أنه ينفع في رد البلاء قال صلى الله عليه وسلم : ((لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما قد نزل ، ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة . (رواه الحاكم وحسنه الألباني) . ولو لم يكن في الدعاء إلا ما ذكر لكان حري بالمسلم التزامه في كل وقت وحين . ومن أعظم الأوقات التي تكون مظنّة الإجابة في هذا الشهر الكريم الدعاء قبل الإفطار فإن هذا الوقت مظنة إجابة خاصة إذا أقبل الصائم بكليته على الله تعالى ، وألح على الله تعالى في الدعاء ، فإنه مقدم بين يدي الله تعالى في هذا الوقت أعظم الصدقات هذا الصوم العظيم الذي تكفل الله بمجازاة الصائم عليه من قبله سبحانه وتعالى . وكذلك من الأوقات الفاضلة آخر الليل من كل ليلة فإنه وقت مبارك

قال صلى الله عليه وسلم : يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ (متفق عليه) . ومن لازم هذه الأوقات ، وحرص على الدعاء فيها لقى خيراً عاجلاً أو آجلاً كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . غير أن من المهم جداً لكل داع أن يصدق في الدعاء والرغبة ، وأن يلتزم بآداب الدعاء كأن يكون متوضئاً ، ومستقبل القبلة ، مبتدياً بحمد الله تعالى ومثنياً بالصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم . غير معتدٍ في الدعاء بإثم أو قطيعة رحم . وليتق الله تعالى في تجنّب أسباب الحرمان من الإجابة والتي من أهمها أكل الحرام الذي يُعد مانعاً قوياً من الإجابة التي ينتظرها كل مسلم .

وأخيراً لكل داع أن يدعو لنفسه بما شاء لكن من المهم لكل مسلم أن لا ينسى إخوانه من دعوة بظهر الغيب ، فإن كان إخوانه يعيشون أمناً ورخاءً فليدعو بمزيد توفيق لهم ، في جمع كلمتهم و التأليف بين قلوبهم ، وإن كانوا يعيشون أزمات أو ويلات جره عليهم الأعداء فليصدق الله تعالى لهم في الدعاء بأن يجمع شملهم ، ويلم شعثهم ، وينصرهم على عدوهم فإن ذلك هو أقل ما يرجونه منك أيها الصائم الكريم .

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قيمة الزمن في حياة المسلم (١١)

إن الوقت هو عمر الإنسان الحقيقي ، وهو مادة حياته . لذا أقسم الله تعالى به في أكثر من آية في كتابه العزيز فقال تعالى : ((والعصر)) وقال تعالى : ((والليل)) وقال تعالى : ((والضحى)) إلى آيات غير قليلة في هذا الشأن . وما هذا القسم إلا دليل على أهمية الزمان في حياة المسلم . وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم نظر الإنسان إلى هذا الشأن كما قال صلى الله عليه وسلم : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) (البخاري) . وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، ..... الحديث)) (رواه الترمذي وحسنه الألباني). وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول : كل يوم ينشق فجره ينادي مناد ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمني قبل أن أفوت . وكان يقول ابن آدم إنما أنت أيام إذا ذهب يوم ذهب بعضك . وهكذا كان عامة السلف رحمهم الله تعالى يدركون تماماً أن الأيام مراحل تقطع عمر الإنسان ، وتفني أيامه ولياليه ، وليت شعري من

يدرك أن غروب شمس يوم من حياته إنما هي خطوة أقرب نحو الدار الآخرة ، وخطوة أبعد نحو البقاء في ظل هذه الحياة .وقد قال ابن القيّم رحمه الله تعالى : العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه ، ومدة سفره هو عمره الذي كتب له ، ثم جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره ، فلا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر اهـ. وقال ابن رجب رحمه الله : السعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات ، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات . اهـ .

وكان الحسن رحمه الله يردد : ابن آدم ، اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك ، كذلك ليلتك . وعن بكر المزني أنه قال : ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلا ينادي : ابن آدم اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي ، ولا ليلة إلا تنادي : ابن آدم لعله لا ليلة لك بعدي . هكذا كان السلف رحمهم الله تعالى يعظمون زمانهم ، ويجهدون في استغلال يومهم وليلتهم.

ورمضان أيها الصائمون من أشرف أيام الزمان ، اختصه الله تعالى بمزيد من الخير والطاعات فكان عوده على الإنسان من أعظم النعم ، وأسعد الأوقات ، فأي خسارة أعظم من فواته فيما لا ينفع، وليجتهد كل منا في أن يكون له برنامج عمل خلال هذا الشهر الكريم يلتزمه في يومه فإذا ما قضاه وانتهى منه يمكن أن يكافأ نفسه ، بوقت راحة يزور فيه أحبابه وأصدقاؤه ، أو يتسلّى بشيء مباح حلال .

التذكير بمصاب المسلمين (١٢)

يعاني إخوة لنا تجمعنا بها صلات الدين والعقيدة في أماكن كثيرة سواءً تلك الأماكن المحتلة كفلسطين والعراق وأفغانستان والصومال أو غيرها من الأماكن التي تعاني من الفقر والجوع والحرمان. وهناك معاني عظيمة في الصوم ينبغي أن نستشعرها ونحييها في نفوسنا ونفوس أهلنا وأبنائنا، ونتذكر حال إخواننا المستضعفين والذين يمر عليهم شهر رمضان وهم غير قادرين على شراء ما يحتاجون إليه من طعام أو شراب أو كساء، بل إن فرحتهم بقدوم الشهر الكريم لا تكتمل إذ لا يزال ابنهم أو والدهم سجيناً في سجون الاحتلال إن لم يكن قد سقط شهيداً بقصف الطائرات أو قذائف الدبابات، وآخرون قد هدم العدو بيوتهم فهم بلا مأوى، وآخرون .. وآخرون .. قصة تطول صفحاتها المملوءة بالحزن والأسى .

هنا لا بد أن أذكر نفسي وإخواني بأننا لا ينبغي لنا أن نخذل إخواننا وعلينا نتذكر قول قائدنا ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ"(أخرجه رواه أبو داود، والإمام أحمد في مسنده)، والخذلان هو تَرْك الْإِعَانَة وَالنُّصْرَة .

إن أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا وطبائعنا تملي علينا ضرورة وقوفنا مع إخواننا وشعورنا بأحوالهم ومواساتهم وتخفيف معاناتهم، وقبل هذا كله علينا الامتثال لأمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لنا بنصرة إخواننا المستضعفين، قال تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} [المائدة: ٢ .[

ولقد ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الإيجابي وشبه حال المسلمين بحال الجسد الواحد، فقال عليه الصلاة والسلام: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى منهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَد بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" رواه البخاري ومسلم، إن هذا المثال بحاجة للتأمل قال ابن حجر رحمه الله: " قوله : (كمثَلِ الجسد) أَي: بِالنِّسْبَةِ إلى جميع أَعْضَائِهِ، ووَجْه التَّشْبِيه فيه التَّوَافُق في التَّعَب والرَّاحَة. قوله: (تدَاعَى) أَي: دَعَا بَعْضه بَعْضًا إلى الْمُشَارَكَة في الأَلم ... قوله: (بالسَّهَر وَالْحُمَّى) أَمَّا السَّهَر فَلأَنَّ الأَلَم يَمْنَع النَّوْم، وَأَمَّا الحُمَّى فلأَنَّ فَقْدَ النَّوم يُثِيرهَا... فَتشْبِيهه المؤمنينَ بِالجسَدِ الوَاحد تمثِيل صحيح، وفيه تَقرِيب للفهم وإظْهَار لِلمعَانِي في الصُّوَر الْمَرْئِيَّة، وفيه تعْظِيم حُقُوق المسلمين والحضّ على تعاونهم ومُلاطَفة بعضهم بعْضًا"(فتح الباري)، وهذا الحديث توجيه لنا بأن يكون حالنا كحال الجسد الواحد الذي يتفاعل كله مع أي ألم يحل بجزء منه، إنها صورة حسية علينا أن نجعل منها صورة معنوية على أرض الواقع، إذاً فليكن من استعداداتنا الرمضانية أن نحيي عملياً صورة الجسد الواحد

فعندما نشعر بالجوع في أثناء الصوم فإنه سرعان ما يحين وقت الإفطار ونأكل ونشرب ما كنا نشتهيه من طعام أو شراب، وكذلك الحال عندما يعجبنا لباس ما لأبنائنا فإننا سرعان ما نقتنيه، أليس من أذكار النوم التي علمنا إياها حبيبنا صلى الله عليه وسلم أن نقول: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي"(مسلم).

اللهم اغفر لنا تقصيرنا في حق إخواننا وأعنا على أن يكون من استعداداتنا في رمضان أن نؤدي بعض حقهم علينا بأن نمد يد العون لهم بما نستطيع.

فضل الصحابة (١٣)

إن الله جل شأنه لما اصطفى رسوله محمداً ﷺ وجعله كما قال : ﴿ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ اصطفى له أنصاراً وأصهاراً أيدوه وناصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فكان لهم من الفضل والمنزلة والمكانة أكبر الحظ والنصيب.

قال ابن مسعود ﷺ في وصفهم : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خيرَ قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه " رواه أحمد وإسناده حسن .

. يكفيهم فخراً أن الله عز وجل اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ونشر رسالته من بعده عدَّلهم وزكَّاهم ووصفهم بأوصاف الكمال في غير ما آية من كتابه الكريم وفي غير ما حديث في سنة رسول الله ﷺ.

أما من الكتاب :

قال سبحانه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ سورة الفتح : ٢٩ .

. قال الإمام مالك رحمه الله تعالى : " من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أصحاب محمد ﷺ فقد أصابته هذه الآية ".

وقد حبب الله إليهم الإيمان وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان وأيد بهم رسوله ﷺ قال سبحانه : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ . أي جعله أحب الأشياء إليكم . وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ سورة الحجرات : ٧ .

وقال : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ الأحزاب : ٢٣ .

وقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الحشر : ٩.

ولما كانوا بهذه المنزلة رضي الله عنهم ورضوا عنه فنالوا هذا الوسام العظيم في الدنيا ووعدوا بالجنة في الآخرة ، قال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ التوبة : ١٠٠ .

. هذا بعض ما ورد في فضلهم من الكتاب أما من السنة :

فقد ورد أنهم خير القرون في هذه الأمة فقد نالوا الخيرية والفضل ، قال ﷺ : (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين

يلونهم . قال عمران بن حصين : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة . ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) رواه البخاري ومسلم .

وقد تظافرت النصوص في النهي عن سبهم ففي الصحيحين قال ﷺ : (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه) .

. وقال كما في الترمذي : (الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) .

. وفي معجم الطبراني من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ : (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) حسنه السيوطي.

فتحت أبواب الجنة (١٤)

فإن الجنة هي متطلع كل مسلم يعيش على وجه هذه البسيطة ، فهي دار كرامة أولياء الله تعالى وعباده المخلصين ، ولن يجد المسلم يوم القيامة كرامة وفوزاً وفلاحاً بعد رضى الله تعالى ورؤيته أنعم ولا أفضل من الجنة . هذه الجنة تتهيأ في شهر رمضان بالذات ، وتزدلف لأهل الإيمان ، تفتّح أبوابها إشعاراً بعظمة هذه الطاعة في هذا الشهر الكريم ، ولئن كثيراً من نفوس المؤمنين تتطلع إلى هذا النعيم ، وتود اليوم الذي تشهده واقعاً حياً في حياتها ، فإن من المناسب أن ننقل وصفاً لهذه الدار التي بشّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقبال هذا الشهر حين قال صلى الله عليه وسلم : ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ... الحديث)) (رواه النسائي والبيهقي وصححه أحمد شاكر).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين : ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) . (متفق عليه) وعن سهل بن سعد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إن في الجنة لشجرة ، يسير الرّاكب الجواد في ظلها مئة عام لا يقطعها)) (متفق عليه) . وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إنّ في الجنة لسوقاً ، يأتونها كل جمعة فتهبّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم . فيزدادون حسناً وجمالاً . فيرجعون إلي أهليهم وقد ازدادوا حُسناً أو جمالاً . فيقول لهم أهلوهم : والله ! لقد أزددتم بعدنا حسناً وجمالاً . فيقولون : وأنتم ، والله ! لقد ازددتم حسناً وجمالاً)) (متفق عليه) . وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((للمؤمن خيمة من درّة مجوّفة ، طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون)) (مسلم) . وفي رواية للبخاري : ((أن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون ، وجنتان من كذا ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنّة عدن)) وعن أنس رضي الله عنه قال : لما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال : أتيت على نهر ، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوّفاً فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : الكوثر)) (متفق عليه) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنّ أول زمرة يدخلون الجنّة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درّيّ في السماء إضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ، ومجامرهم الألوّة ، وازواجهم الحور العين على خَلْق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء)

(متفق عليه) ، وفي رواية لهما : ((.. لكل امرئ زوجتان من الحور العين ، يُرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم)) زاد فيها مسلم : ((وما في الجنة أعزب)) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إنّ أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب الدرّيّ الغابر في الأفق ، من المشرق أو المغرب ، لتفاضل ما بينهم)) قالوا : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ، قال : بلى ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين)) (مسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : ((من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه)) (مسلم) . وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وغنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً . وإن لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً)) فذلك قول الله تعالى : ((ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)) (متفق عليه) وعن صهيب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا دخل أهل الجنّة الجنّة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيّض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنّة وتنجينا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل .

هذه بعض صفات الجنة التي بشّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر المبارك . فهل من مشمّر إلى هذا النعيم العظيم؟.

وغلّقت أبواب النار (١٥)

إن النجاة من النار يعد فوزاً عظيماً في حياة من تحقق له ذلك . ذلك أن النار التي خلقها الله تعالى إنما جعلها جزاء للمتمردين عن منهجه ، الشاردين عن طاعته ، وليت شعري حين يتجاوز هذا الإنسان في عرصات القيامة جسر جهنم ، ويترك أهوال الحساب خلف ظهره ، متحققاً من النجاة ! أي فوز أعظم من هذا ! إن هذا الذي خلّف النار خلف ظهره لن يتصوّر هذه النجاة على حقيقتها ما لم يتصوّر النار على صورتها التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أوضح أن أبوابها تغلق مع دخول شهر رمضان في قوله صلى الله عليه وسلم : ((أتاكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، فيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق أبواب الجحيم .. الحديث (رواه النسائي والبيهقي وصححه أحمد شاكر) وفي هذه الليلة سنستعرض بعض هذه الصفات كما جاءت على

لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن أن ندرك حينها هذه المعاني لنفيق من غفلة هذه الحياة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم)) . قيل : يارسول الله ، إن كانت لكافية ، قال : فضّلت عليهن بتسعة وستين جزءاً ، كلهن مثل حرها) (متفق عليه) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : ربّ أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشتد ما تجدون من الحرّ ، وأشد ما تجدون من الزمهرير)) (متفق عليه). وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يؤتى بجهنّم يومئذ لها سبعون ألف زمام . مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها)) (مسلم) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((أتدرون ما هذا ؟)) قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن ، حتى انتهى إلى قعرها)) (مسلم) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع)) (متفق عليه) . وعن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((منهم من تأخذه النار إلى كعبيه . ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه . ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته . ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)) (مسلم) . وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل ، توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منهما دماغه)) (متفق عليه) هذه بعض صفات تلك النار التي يجدها المتمردون عن منهج الله تعالى كأعظم جزاء ينالونه حين يتجاوزون أمر الله تبارك وتعالى، أجارنا الله وإياكم من نار جهنم . وجنبنا الله حرها وزمهريرها. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التوبة الباب المفتوح (١٦)

إن التوبة كما يقول ابن القيّم رحمه الله تعالى : هي أول المنازل وأوسطها ، وآخرها ... وهي بداية العبد ونهايته، حاجته إليها في النهاية ضرورية ، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك. ولهذا قال الله تعالى : ((وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)) سورة النور (٣١) .

وهذا أمر الله من الله تعالى في كتابه المبين لكل مؤمن ومؤمنة على وجه الأرض أن يتوبوا مما اقترفوه وأن يتوجهوا إليه بالتوبة طلباً للفلاح والصلاح . والآيات الواردة في القرآن الكريم بشأن التوبة آيات كثيرة مستفيضة ، غير أن من أعجبها وأوسعها قول الله تعالى وهو يدعوا من أسرف في الذنب ، وبلغ الذروة في الغواية إلى هذه التوبة حين قال : ((قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)) الزمر (٥٣) .

فهل بعد هذه الدعوة دعوة أوسع منها ؟ وهذا رسول الهدى صلى الله عليه وسلم عرض التوبة في ثوب فسيح جداً لا يضيق إلا على محروم حين قال صلى الله عليه وسلم : (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة . فانفلتت منه . وعليها طعامه وشرابه . فأيس منها . فأتى شجرة . فاضطجع في ظلها . قد أيس من راحلته . فبينا هو كذلك إذ هو بها ، قائمة عنده . فأخذ بخطامها . ثم قال من شدة الفرح : اللهم ! أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح) (متفق عليه). وفي حديث أبي سعيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب . فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً . فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله . فكمّل به مئة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم . فقال : إنه قتل مئة نفس . فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ز فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم . ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب . فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضيين ز فإلى أيتهما كلن أدنى فهو له . فقاوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد . فقبضته ملائكة الرحمة) (متفق عليه). فلا إله إلا الله ما أعظم رحمة الله تعالى ! وما أشد عطفه على التائبين ! وما أوسع مغفرته ! فهل يا ترى بقي لأي فرد على وجه الأرض من عذر في عدم تحقيق التوبة المرجوة ؟

إن الصائمين بالذات هم أحوج ما يكونون إلى فهم هذه المعالم في التوبة ، ولئن طاشت عين خائنة ، أو تلوّك لسان في عورات الآدميين ، أو تصنّنت أذن إلى محارم الله ، أو خطت قدم إلى أماكن مشبوهة ، أو امتدت يد إلى حفنة من الربا ، فإن هذه الفئات وإن تلوثت بهذه الجرائم إلاّ أن التوبة يمكن أن تغسلها ، وتطهّر أدرانها ، وتذهب بأذاها . فقط متى ما صدقت النية ، وصح

الإقبال على الله تعالى. وحينئذ سيكون الفلاح عاقبته ، والفوز نجاته من ظلمات التيه والظلام . إن التوبة يمكن أن تستوعب أي ذنب مهما كانت سوأته ، شريطة أن يقر العبد بالخطيئة في جنب الله تعالى ، وأن يعترف بالتقصير ، وأن يجد في قلبه مس الذنب ، وحرارة المعصية ، ثم يعزم على مجاوزة هذه الخطيئة مهما كانت طلباً في رضى ربه ومولاه ، وحين يتحقق له ذلك فعليه أن يلوذ بجناب الله ، وأن يقبل على ربه ، ولن يجد حياة أسعد من حياة التائبين . اللهم وفقنا للتوبة قبل الموت . وفك آصارنا من أدران المعصية التي أحاطت بنا إنك أنت الغفور الرحيم . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

غزوة بدر - أ (١٧)

إن غزوة بدر الكبرى من الغزوات العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وكيف لا تكون كذلك وهي أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقق فيها أعظم انتصار للإسلام وأهله ، وكسرت شوكة الأعداء كسراً لم ينجبر بعد . هذه الغزوة وقعت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك ، ولم يكن لها سابق موعد إنما كما يقول ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بخبر أبي سفيان مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة ندب المسلمين إلى الخروج لاستعادة ما أخذته قريش منهم، فخرج بعضهم ، وتباطأ البعض الآخر في الخروج ، وكان أبو سفيان لما دنا من الحجاز جعل يتحسس الأخبار حتى وصل إلى الخبر اليقين فبعث رجلاً إلى مكة وأمره أن يستنفر قريشاً لهذا اللقاء . وخرجت جموع قريش للمواجهة ولم يتخلف من كبرائها إلا أبو لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن وائل ، في حين وصف الله تعالى خروج المسلمين بقوله : ((وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)) سورة الأنفال .

ولما تحقق ما أراد الله تعالى في هذا الخروج من المواجهة الحتمية بين الفريقين جعل النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في القتال فقام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ((اذهب أنت وربك فقاتلا إن هاهنا قاعدون)) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير . (رواه البخاري) . ثم طلب النبي صلى الله عليه وسلم المشورة من الناس وكان يريد أن يسمع قول الأنصار فقام سعد بن معاذ فقال . والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ فقال : أجل ،

قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فصل حبال من شئت ، واقطع حبال من شئت ، وسالم من شئت ، وعاد من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لك ، فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك ، ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصُبُر في الحرب ، صُدُق اللقاء ، ولعل الله يريك منّا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله . فسُرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم . نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ، ونزل المسلمون بالعدوة الدنيا كما أخبر الله تعالى عنهم فقال : (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) الأنفال (١١) . كان عدد المشركون آنذاك يصل إلى ألف مقاتل بينما المسلمون لا يتجاوزون ثلث هذا العدد فقط ثلاث مئة وبضعة عشر مقاتلاً . ومع ذلك فقد كان الله معهم فحوّل الخوف إلى أمان وأنزل عليهم النعاس حتى كان أحدهم يسقط سوطه من يده ، وأنزل عليهم ماء من السماء ليسكنهم به كما قال الله تعالى : ((إذا يغشيّكم النعاس أمنه منه وينزّل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ... الآية)) الأنفال (٤٤) . ويزيدهم الله طمأنينة ثالثة حين أرى المسلمين قلة جموع المشركين ، وصور الله قلة أعداد المسلمين في أعين المشركين حتى يتم اللقاء كما في القرآن الكريم : ((وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور)) الأنفال (٤٤). ولما قربت المنازلة عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف الصحابة ولجأ إلى مولاه وناصره ، ومن له الأمر أولاً وأخيراً فدخل العريش وناشد ربه النصر ويردد : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد حتى سقط الرداء من رأسه . ونزلت الملائكة مقاتلة مع المسلمين، وبدأت ثورة المعركة يتقدم المشركين إبليس في صورة سراقة ين مالك ، وبدأ الأعداء يتساقطون واحداً تلو الآخر فسقط من كبرائهم أمية بن خلف ، وسقط رأس الباطل أبو جهل ، وتناثر عقد أهل الشرك ، ونصر الله المسلمين نصراً عظيماً دون نظر إلى قلة ، أو اعتبار بالكثرة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصناديد قريش فسحبوا إلى بئر بدر وقذفوا فيها ، ثم وقف عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا فلان ، يا فلان ، يا فلان ابن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا به ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ . فقال عمر يا رسول الله : ما تكلّم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . وهكذا سجّل التاريخ في شهر رمضان

بالذات هذا النصر العظيم ، فكانت الصولة للطاعة ، والفشل والهزيمة للمعصية والعاصين . ألا فما أعظم أثر الطاعة في قلوب أصحابها ! وما أسوء أثر تحدثه المعصية في قلوب الملازمين لها حين المصائب والبلايا ! وفي الدرس القادم بإذن الله تعالى صور مضيئة من تلك الغزوة. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

غزوة بدر – ب (١٨)

إن غزوة بدر من أعظم الغزوات في تاريخ المسلمين ، وقد سجّلت أحداثها مواقف تُعد من أروع المواقف في حياة ذلك الجيل العظيم .صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإليكم بعضاً من تلك المواقف التي دوّنتها كتب السير أثناء الحديث عن تلك الغزوة :

أولاً : الشجاعة التي كانت معلماً من معالم ذلك الجيل يدوّن لنا هذه الصفة حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم أجمعين حين برز كل من عتبه وشيبة والوليد من صفوف قريش وطلبوا المبارزة . فقال عتبة لابنه قم يا وليد . فقام الوليد وقام إليه علي بن أبي طالب وكان أصغر النفر فقتله علي في أول لقاء . ثم قام عتبة وقام إليه اسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب فاختلفا ضربتين فقتله حمزة ، ثم قام شيبة ، وقام إليه عبيدة بن الحارث وكرّ حمزة وعلي على شيبة فقتلاه . وانتهت أولى جولات القتال بانتصار الفئة المؤمنة ، وكتب هؤلاء الثلاثة صورة من البسالة والشجاعة كان لها أكبر الأثر في تحقق الهزيمة النهائية في المعركة فرحم الله هؤلاء النفر ما أعظم شجاعتهم وبسالتهم في الحروب .

ثانياً : خبر عُمير بن الحمام فإنه قبل بدأ المعركة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يردد ويقول : (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) فقال عمير يارسول الله ! جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بخ بخ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما يحملك على قولك بخ بخ) قال : لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : (إنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه . فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قال : فرمى بما كان معه من التمر . ثم قاتلهم حتى قتل .

ثالثاً : ما قاله عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : بينما أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما . فغمزني أحدهما . فقال : يا عم ! هل تعرف أبا جهل ؟ قال : قلت نعم . وما حاجتك إليه يا

ابن أخي ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا . قال : فتعجبت لذلك . فغمزني الآخر فقال مثلها . قال : فلم أنشب أن نظرت إلى ابي جهل يزول في الناس . فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه . قال : فابتدراه ، فضرباه بسيفيهما ، حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبراه . فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته . فقال : هل مسحتما سيفيكما؟ قالا : لا، فنظر في السيفين فقال : كلاكما قتله . والرجلان هما : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء .

هذه بعض مواقف تلك الغزوة العظيمة وهي مواقف تستحق التدوين . ونحن في شهر رمضان ، الشهر الذي سُطّرت فيه هذه البطولات العظيمة ، فما أحرى الأجيال اليوم بقراءة التاريخ من جديد ! ولعل شباب المسلمين يدركون هذه المعاني فتنهض همم للإقتداء !. وإني على يقين اليوم أن الليل قد آذن بالبلج ، وأن صبح الإسلام قريب جداً . وعلى يد الإسلام وأهله سيعود الإسلام من جديد فمن يشارك ولو بجهد المقل في استعادة هذه العزة ؟ والتاريخ شاهد والأيام دول.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٩)

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر هذا الدين ، وعليه مدار الإسلام ، وبقاء معالمه ، وحين يذبل في حياة المسلمين ، وتموت معالمه ينقص الدين ، وتثلب مقاماته ، وتمحى كثير من شعائره . ذلك أن عليه مدار الدين ، وبه قوامه وانتشاره . هذه الشعيرة رتّب الله عليها خيرية هذه الأمة ، حين قال في كتابه الكريم : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... الآية)) سورة آل عمران (١١٠).

فقدّم القيام بهذه الشعيرة على الإيمان وما ذلك إلا لعظمتها عند الله تبارك وتعالى. وأمر الله به المؤمنين في كتابه الكريم وجعل وصف الفلاح منوطاً بهم حين يقيمون هذه الشعيرة فقال: ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) سورة آل عمران (١٠٤). وحين يترك المسلمون هذه الشعيرة يترتب على تركهم لها ويلات وعقوبات عظيمة تلحق الأمم والأفراد ومن أهم هذه العقوبات :

اللعنة والعياذ بالله فإن الأمم والأفراد إذا فرطوا في القيام بهذه الشعيرة استحقوا لعنة الله من فوق سبع سموات جاء ذلك في قول الله تعالى : ((لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود

وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)). روى الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وفي أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم : (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطراً)) . وقال أبو داود عن عبد الله بن مسعود : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أوّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتقي الله ودع ما تصنع فإنه لايحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ومن هذه الويلات التي تترتب على ترك هذه الشعيرة : كثرة الخبث . قالت زينب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه فزعاً وهو يقول : لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا (وحلّق بين أصبعيه السبابة والإبهام)) فقالت له زينب رضي الله عنه : يارسول الله ! أنهلك وفينا الصالحون ؟ فقال : نعم إذا كثر الخبث .)) إلى آثار كبيرة وعظيمة في حق المتناسين أو المتساهلين في تطبيق هذه الشعيرة .

بل حين تُحرم الأمة من خير أو تصاب بشر إنما ذلك من آثار المتنكرات التي يمارسها الأفراد والجماعات دون وعي بخطرها أو اكتراث بآثارها .

ويمكن أن نسهم في إحياء هذه الشعيرة على مستوى المجتمع والأمة جميعاً فنمد في وسائل المعروف ، ونسهم في نماء بذرة الخير ، ونجهد بكل وسيلة في الوقوف أمام كل فكرة أو رأي أو مشورة أو عمل تحسب في عداد المنكر بكل ما نستطيع . وحين نكون كذلك فلنهنأ بطمأنينة تعايش قلوبنا ، ولنسعد بالأمن والرخاء يعم مجتمعاتنا وبلادنا . وفقنا له وإياكم لمد يد المعروف ، وجعلنا الله مفاتيح للخير مغاليق للشر . إنه ولي ذلك والقادر عليه.

العشر الأواخر وقيام الليل (٢٠)

هانحن أيها المسلمون نقف وإياكم على أعتاب العشر الأخيرة من رمضان المبارك ، بعد أن كنا بالأمس ننتظر قدوم شهرنا الميمون . وهذه العشر هي مسك الختام ، وأيامها أفضل أيام الشهر

ولياليها أفضل أيام العام . وقد سئل شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : أيهما أفضل أيام عشر ذي الحجة أم أيام عشر رمضان الأخيرة . فأجاب رحمه الله بالجواب التالي : أيام عشر ذي الحجة الأولى أفضل من هذه الأيام وليالي العشر الأخيرة من رمضان أفضل من ليالي العشر الأول من ذي الحجة . ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في التعبد لله خلال هذه العشر حيث كان يعتكف خلالها ، ويقوم ليلها ، ويبيت متحرياً لأعظم ليلة تنتظر ليلة القدر . ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد مئزره. وذلك كناية عن إقباله على العبادة ، وانشغاله بها ، وترك الالتفات إلى الدنيا مهما كانت الرغبة إليها والتشوق لها . وهذا في العادة لا يكون إلا لمن أيقن هذا الفضل ، وطمع في حصوله ، ورجى الله في لقياه . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف لا يكون المؤمن حريصاً على التهجد في مثل هذه الليالي وقد طرق مسمعه حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر) . وصدق القائل : وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوي جنته في الدينار والنساء والقصر المنيف فإن جنة المؤمن في محرابه . لقد زكى الله تعالى ذلك الجيل بتزكيات متكاثرة كان من جملتها حرصهم على قيام الليل حين قال تعالى : ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون)) . وقال تعالى : ((كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون)) . وقال تعالى : ((والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)).

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وكنت غلاماً شاباً عزباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر ، وإذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار . قال فلقيهما ملك فقال لي : لن ترع ، فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعم الرجل عبد الله لوكان يقوم يصلي من الليل). (متفق عليه) . قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً . وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أوّل ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، انجفل الناس إليه فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : (أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام

، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) (رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني) . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : في الجنة غرف يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فقال أبو مالك الأشعري : لمن هي يارسول الله ؟ قال : لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام) (رواه ابن خزيمه وقال الألباني : حسن لغيره) . وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه . وذلك في كل ليلة .(مسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ (متفق عليه). وعند الترمذي وصححه الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد، وعند الحاكم والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس . (رواه الطبراني وحسنه الألباني) إن التراويح حين يشهدها المسلم مع الإمام حتى ينتهي هي أول دليل على حرص الإنسان على ليالي هذا الشهر الكريم . وحينما يعود الإنسان مرة أخرى إلى ولوج المسجد في صلاة التهجّد إنما يبرهن صدق هذا الإقبال ، ويكتب بهذا الحرص علو كعبه في الخير ، ونماء ذاته في الصلاح ، وحين يزداد الواحد منّا همة على هذه الهمة فيتم هذا الإقبال في بيته قبيل ولوج الفجر ليختم بها ليلته يكون في عداد السابقين الأخيار.

ليلة القدر (٢١)

إن شهر رمضان شهر كريم ، وفضائله جمة لا يحصيها عاد ، ومن هذه الفضائل العظيمة التي اختص الله بها شهره الكريم ليلة القدر ، وما سميت ليلة القدر إلا لشرفها ومكانتها وعظم قدرها عند الله تبارك وتعالى : وهي ليلة واحدة في العام في شهر رمضان خاصة ، وفي عشره الأخيرة على وجه التحديد ، وقد أشاد الله تعالى بها في كتابه الكريم فقال : ((إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر)) سورة القدر .

قال صلى الله عليه وسلم : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).(متفق عليه) . وقال صلى الله عليه وسلم : (التمسوها في العشر الأواخر . يعني ليلة القدر . فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي) . (متفق عليه) . وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان) (متفق عليه) . وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر . (متفق عليه).

والصحيح أنها تنتقل بين الأيام الفردية من العشر جمعا بين الأحاديث فتكون عاماً ليلة إحدى وعشرين ، وعاماً ليلة تسع وعشرين ، وعاماً ليلة خمس وعشرين ، وعاماً ليلة أربع وعشرين.

ولها علامات مقارنة ولاحقة، **أما علاماتها المقارنة فهي** : زيادة النور في تلك الليلة، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر من المؤمن، وتكون الرياح فيها ساكنة أي : لا يأتي فيها عواصف أو قواصف بل يكون الجو مناسباً، ويجد الإنسان في القيام لذة أكثر مما في غيرها من الليالي . و**أما العلامات اللاحقة** : فأن تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع صافية ليست كعادتها في بقية الأيام.

ويستحب الإكثار فيها من الدعاء الوارد: (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) لحديث عائشة أنها قالت : أفرأيت يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر فما أقول فيها ؟ فقال : قولي : (اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني).

وفقنا الله وإياكم للقيام بحق هذه الليلة وأعاننا على العبادة فيها ، ونسأل الله أن يقدّر لنا ما يكون فيها خيراً .

الاعتكاف (٢٢)

إن نبي الهدى صلى الله عليه وسلم كان يحرص على الاعتكاف في ليالي العشر الأواخر من رمضان فقد جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان . (متفق عليه) . وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله . (متفق عليه) وهكذا كان دأب

النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وفي هذا الشهر على وجه الخصوص ، ذلك أن شهر رمضان يُعدّ من الفرص العظيمة في حياة أي مسلم يشهد هذا الخير ، وحين يعتكف المسلم إنما يتخفف من آثار هذه الدنيا ، وتسمو روحه إلى تطلب الحياة الروحية الحقيقية التي يهيأ لها الاعتكاف نوعاً من هذا السمو الذي تنشده في حياتها . وإلى هذا المعنى أشار ابن القيّم رحمه الله تعالى فقال : لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على جمعيته على الله ، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى ، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام مما يزيده شعثاً ، ويشتته في كل واد ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه : اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة ، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى ، وجمعيته عليه ، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته ، فيستولى عليه بدلها ، ويصير الهم كله به والخطرات كلها بذكره ، والتفكّر في تحصيل مراضيه وما يقرّب منه فيصير أنسه بالله بدلاً من أنسه بالخلق ، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له ، ولا ما يفرح به سواه فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم . اهـ .

ويشترط أن يكون الاعتكاف في المسجد الذي تقام فيه الجماعة، وإذا خرج المعتكف ببعض بدنه لم يبطل اعتكافه ولا يترتب عليه شيء باتفاق الأئمة أما إذا خرج بجميع بدنه من المعتكف دون عذر فاعتكافه باطل باتفاق الأئمة . وإما إذا خرج لعذر سواء للطهارة أو لقضاء حاجة أو للأكل والشرب فإنه مأذون فيه للعذر ولا حرج عليه في ذلك.

الرحمة (٢٣)

لقد أثنى الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم على تمثّله لخلق الرحمة فقال تعالى : ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاروهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله .. الآية)) سورة آل عمران (١٥٩) .

يقول محمد رشيد رضا في تفسير الآية: الفظاظة وهي الشراسة والخشونة في المعاشرة والقسوة والغلظة من الأخلاق المنفّرة للناس لا يصبرون على معاشرة صاحبها وإن كثُرت فضائله ، ورجيت فواضله بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه لا يبالون ما يفوتهم من منافع الإقبال عليه ، والتحلّق حوله ، إذاً لفاتتهم هدايتك ، ولم تبلغ قلوبهم دعوتك . اهـ.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة لهذا الخلق عموماً وكيف لا يكون كذلك وقد جاءت السنة بكثير من أحاديثه في الحث على هذا الجانب . فعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)) (متفق عليه) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض ، يرحمكم من في السماء)) (رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم صاحب هذه الحجرة يقول : ((لا تنزع الرحمة إلا من شقي)) (رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني).

إن الرحمة أيها الصائمون تتمثّل في : اليتيم الذي يترقرق الدمع في عينيه ألا يجد من يواسيه فقد أبيه . وقد تراه أو تلمحه تشرئب عنقه حين رأى فاكهة أو حلوى قَدِم بها والد جيرانه إلى أهل بيته . أو حتى حين يخرج إلى زوايا المدرسة لا يجد ما يفطر به مع زملائه فيعود حبيس الفصل لا يشارك زملاءه فسحتهم . أو حين يشارك الناس في العيد لا يجد برهاناً على حاله أوضح من تلك الثياب التي هتّكها الزمن يشهد بها العيد مع أقرانه .

والرحمة أيها الصائمون في جار فقير لا يجد قوت يومه أو ليلته ، أو أرملة أبقاها الزمان وحيدة دون رفيق يحمل همها أو يشاركها في لأواء الحياة المريرة . أو مشلول أو مريض يقلبه أهله من سرير لآخر لا يجدون من يشاركهم هذه الهموم والآلام.

والرحمة أيها المسلمون في كل مخلوق حي أياً كان هذا المخلوق سواء إنساناً أو حتى حيواناً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج ، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ،

فشكر الله تعالى له فغفر له . وفي رواية : إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش ، فنزعت له موقها فغفر لها به . (مسلم).

صلة الأرحام (٢٤)

فإن شهر رمضان شهر البر والصلة ، فيه تمتد الصلة بين الأقارب إلى أبعد ما يمكن أن يجده الإنسان في حياته من بر ومعروف ، وحين تتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تجد حثاً عجيباً على صلة الأرحام ووعيداً شديداً لقطّاعها . قال الله تعالى : ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)) سورة محمد (٢٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ من خلقه ، قالت : الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ، قال : فهو لك) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فاقرؤوا إن شئتم : ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)) . (متفق عليه) وقال صلى الله عليه وسلم : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم ، فأخذت بحقو الرحمن ، فقال له : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يارب ، قال : فذاك) . (رواه البخاري) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سره أن يبسط له في رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه) (متفق عليه) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله) (رواه مسلم) وعن جبير بن مطعم : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا يدخل الجنة قاطع) . (متفق عليه) و عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يارسول الله إن لي قرابة . أصلهم ويقطعوني . وأحسن إليهم ويسيئون إليّ . وأحلم عنهم ويجهلون عليّ . فقال : (لئن كنت كما قلت ، فكأنما تُسفّهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ، مادمت على ذلك) . (رواه مسلم) وعن عبد الله بن عمرو : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها) (رواه البخاري)

إن البر والصلة من أعظم الدلالات على شمولية هذا الدين ، وفي هذه الأحاديث من الفضل لأهل الصلة والبر الشيء العظيم ، وفيها من الوعيد الشديد لأهل القطيعة ما فيها ، وفي رمضان بالذات تتجلى هذه الأحاديث في واقع الناس فتكثر الزيارات بين الأهل والأرحام ، وتزداد عُرى

الصلة ، وتوثّق علائق الرحمة فيما بينهم وهنيئاً أيها الصائمون بمثل هذا الخير العظيم . والعتبى على قوم لم تزدهم الأيام إلا فُرقة ، وجاء رمضان لكنه لم يقدم في حياتهم جديد ، وبقي الخصام والنزاع ، وأيام الهجر شواهد حال يشهدها رمضان ، ثم يخرج دون جديد . إن هذه النفوس قد تكون نفوس مشؤومة ، وقد يصعب عليها لقاء ربها يوم تقف بين يديه جل وعلا في عرصات القيامة ، وقد تنسى هذا الهجر في تلك المواقف فلا تنتبه إلا حين تنادي الرحم باريها : يا رب هذا ممن هجرني ونسي رحمي فاقتص لي منه يا رب العالمين . وحين ما يتحقق ذلك لا يجدي النفس المحرومة من الرحمة والعطف البكاء ، ولا ينفعها العويل ، بل تضطر مرغمة إلى مس حرارة الجحيم .

صور الحب والتآخي بين المسلمين (٢٥)

المسلمون يد واحدة وقلب واحد وكيان واحد ، المسلمون كما وصفهم عليه الصلاة والسلام بأنهم كالجسد الواحد ولم يجمع شتاتهم إلا الإسلام، ولن يؤاخي بينهم إلا الإسلام. **(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)(لأنفال: من الآية٦٣).**

ليس عند المسلمين وحدة لغة أو دم أو لون أو جنس أو وطن ، عند المسلمين وحدة دين ، تجمعهم مظلة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المسلمون يتمايزون بالتقوى ويتفاضلون بالعلم **(إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(الحجرات: من الآية١٣)**

لما دعا محمد عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام جاء المؤذن من الحبشة يقول لبيك اللهم لبيك

وخرج لسان الحال بسلمان الفارسي ليقول :"سلمان منا آل البيت". وهب صهيب الرومي ينادي الله أكبر ، الله أكبر ، وتخلف أهل التمييز العنصري : الوليد بن المغيرة وأبو جهل وأبو لهب.

صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " يا بني هاشم ليأتين الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم ". وفي الصحيح عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم "ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"

المسلمون جمعية كبرى ، عضوها كل بار مؤمن راشد، والإسلام ليس لأمة دون أخرى ، فالإسلام للعرب والهنود والأتراك والباكستان والأفارقة بل لكل العالم ، أبو بكر الصديق رضي الله

عنه قرشي وبلال حبشي وصهيب رومي وسلمان فارسي ومحمد الفاتح تركي ومحمد إقبال هندي وصلاح الدين كردي جمعتهم جميعا لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وفي رمضان تظهر هذه الوحدة العظيمة، فشهر واحد وصيام واحد وقبلة واحدة ، ومنهج واحد .

نصلي جميعا وراء إمام واحد والله يقول لنا :(وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)(البقرة: من الآية٤٣)وقال سبحانه(وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)(البقرة: من الآية٢٣٨). وخاطبنا الله بالصيام جميعا فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة:١٨٣)، حجنا واحد في زمن واحد على صعيد واحد (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)(البقرة: من الآية١٩٨.

دعانا الله إلى الاعتصام بحبله ونبذ الفرقة فقال (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا و)(آل عمران: من الآية١٠٣). وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "إن الله أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى على أحد على أحد ولا يفخر ولا يفخر أحد أحد على أحد.

اللهم ألف بين قلوبنا واجمع شملنا ووحد صفوفنا يا أكرم الأكرمين.

أعظم ليلة..! (٢٦)

ليلة مباركة فيها أنزلت المعجزة الخالدة التي لا ريب فيها ولا شك؛ مهما تعاقبت السنون والأجيال، ففيها الهدى والنور للمتقين، فهم المتقدمون لإمامة المسلمين أجمعين، فلهم قدم السبق عمن سواهم، وهم في الأمة باقون كثّر الله سوادهم، فيحمل هذا القرآن الكريم من كل خلف عدوله.

فالمتقون هم الذين فازوا بالهدى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة:٢] وقد نزل الكتاب في ليلة من وتر العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك وقد قال ربنا سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:١٨٣] فالصيام غايته ومآله وأثره التقوى، وأُنزل القرآن الكريم هدى للصائمين المتقين لأنهم بصيامهم وتقواهم هيؤوا أنفسهم لفهم القرآن وتدبر معانيه والالتزام به قولاً وعملاً.

ليلة القدر نزل فيها كتاب ذو قدر، على رسول ذي قدر، في أمة ذات قدر.

ليلة ليست كالأيام ولا الشهور ولا سنة أو سنتين ولا ألف شهر؛ بل هي خير من ألف شهر، خير من غالب أعمار بني الإنسان، خير من ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، مَن حرم خيرها فقد حرم، ومن أدركها أدرك الخير كله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ" (رواه النسائي ٢١٠٦ وغيره).

ليلة ساكنة هادئة شمس صبيحتها بيضاء نقية، فيها قلوب خاشعة، ووجوه لربها ساجدة، ما سألت شيئاً إلا أعطيت، تشهدها الملائكة {تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر:٤] أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق، تعظيماً له.

ليلة أوصى فيها النبي صلى الله عليه وسلم من أدركها بطلب العفو، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا قَالَ قُولِي "اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي" (رواه الترمذي وغيره).

ليلة ينزل فيها العفو والمغفرة الذي به تتنزل بركات السماء وتفتح به كنوز الأرض، ليلة تهفو إليها كل نفس مؤمنة وتتمنى إدراكها، فتخلص لربها وتحتسب، وتتخلص من شواغل الدنيا وتجتهد في الدعاء وتتبع هدي نبيها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (رواه البخاري ومسلم).

أليس مغبوناً من أضاع هذه الليالي وخيرها وبركاتها في الأسواق والمحلات التجارية؟!

أليس محروما من قضاها في القيل والقال والسهر مع الأصحاب؟!

أليس محروماً من قضاها أمام الشاشات والقنوات؟!

إن المساجد في الجزء الأخير من الليل تناديك فأقبل عليها لتعمُرها مع إخوانك بالصلاة والتسبيح والدعاء والتهليل.. اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تربية الأولاد (٢٧)

إن مسؤولية المسلم في هذه الحياة تتجاوز مسؤولية ذاته وتأخذ أشكالاً متعددة في المسؤولية التي يكلّف بها الإنسان في حياته . ولعل من أعظم النعم التي يعيشها الإنسان في حياته نعمة الأولاد الذين وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم بأنهم زينة الحياة الدنيا . قال تعالى : ((المال والبنون زينة الحياة الدنيا)) ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من حرمها . لذا جاء التوجيه النبوي الكريم برعاية هذه النعمة كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (كلكلم راع وكلكلم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته) (متفق عليه) وهذه الرعية أمانة حذّر الله تعالى من إضاعتها حين قال : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) وحتى نؤدي هذه الأمانة على الوجه المشروع لها ينبغي أن نحقق ما يلي :

أولاً : أن تشعر حفظك الله تعالى أن الله منحك نعمة عظيمة وواجبك تجاه هذه النعمة حفظها والاهتمام بها ، والعمل على إصلاحها حتى تتحقق النعمة على أتم وجه قال تعالى : ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) فهذه إحدى النعم أتمها الله تعالى عليك وحرم منها أناس كثيرون لازالوا في عداد السؤال والإلحاح على ربهم تعالى أن يحقق لهم هذه النعمة .

ثانياً : تأكد أن صلاح هؤلاء الأولاد من أعظم النعم في حياة الإنسان لذا فالزم رعاك الله الطاعة في نفسك ، وحافظ على أوامر الله تعالى إن أردت صلاح هؤلاء الأبناء ، وكلما رآك ولدك حريصاً على صلاة الجماعة ألف ذلك والتزمه منهجاً في حياته ، وكلما رآك حريصاً على الخير من صيام الفرض والنافلة ، وبذل الصدقات ، ومعاملة الآخرين بالأخلاق الحسنة تمثّل ذلك في حياته ، وهكذا ينشأ الأولاد على الصلاح والبر والتقوى ، وتكون أنت أيها الوالد أحد هذه الأسباب العظيمة في هدايتهم .

وإياك إياك من الأقوال غير اللائقة كالسب أو اللعن أو الغيبة والنميمة أو الأفعال الدخيلة كشرب الدخان أو إرتياد الأماكن المشبوهة كالمقاهي أو التخلّف عن الصلاة فإن ذلك أحد الأسباب التي تؤدي بالأولاد إلى الإنحراف والعياذ بالله .

ثالثاً : توجه إلى الله تعالى بالدعاء وألح عليه سبحانه بهداية الأبناء فإن ذلك خير وسيلة تحقق صلاحهم وفلاحهم أرأيت أيها الصائم دعاء الصالحين في قول الله تعالى : ((والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً)) . وزكريا حين دعا ربه فقال : ((فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً)) . وإبراهيم عليه السلام حين توجه إلى الله تعالى بالدعاء فقال : ((ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)) وكان يردد في دعائه ويقول : ((رب هب لي من الصالحين)) إلى غير ذلك من دعاء الصالحين فليكن لك بهم قدوة في الإكثار من الدعاء بصلاح هذه الذرية ، وإياك إياك من الدعاء عليهم فقد توافق هذه الدعوة وقت إجابة فتجاب في ولدك فيكون المسكين ضحية هذا الدعاء البائس . روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه أن رجلاً قال لبعيرة : لعنك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من هذا اللاعن بعيره ؟) قال أنا يارسول الله قال : (انزل عنه فلا تصحبنا بملعون ، لاتدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم .

رابعاً : علّم ولدك المحافظة على الواجبات ، وليكن قرينك في بيوت الله تعالى ، ولا تهمله عند حضورك المسجد فليصلي إلى جانبك وليتدرب على أداء هذه الشعيرة العظيمة . علِّمه الأدب أثناء حضور المساجد ، وملتقيات الناس العامة ، دربه على احترام الآخرين والتأدب معهم ، لقّنه الأذكار في دخول المساجد والخروج منها ، وعند قضاء الحاجة أو بعض أذكار الصباح والمساء ، وغير ذلك من الأذكار وتدرج معه في هذا الجانب وضع له من الحوافز التشجيعية كلما رأيت من إقباله على الخير وتعاهده على هذه الطاعات.

خامسا: إن الغلظة المستمرة والتأنيب المتكرر أيها الوالد الفاضل يخرج شخصيات مهزوزة، وضعيفة، لا تنفع نفسها ولا تتطلّع إلى إفادة غيرها، وليكن علاجك للخطأ علاج تربوي مهذب فإن نتائج ذلك واضحة قريبة مع الزمن.

هدايا للصائمين (٢٨)

لا أجد أحسن هدية ولا أعظم تحفة ولا أجل عطية، من أن أقدم للصائم هدايا من رسول الهدى عليه الصلاة والسلام يهديها لكل مسلم ، إنها تلك الأحاديث العملية التي ذكرت مقرونة بالأجر والثواب، إنها تلك الأحاديث التي هي من أبواب السعادة ومن طرق الخير في الدنيا والآخرة.

أيها الصائم دونك الأحاديث وأحرص على العمل بها .

قال عليه الصلاة والسلام :" من قال حين يصبح وحين يمسي :سبحان الله العظيم وبحمده ، مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك وزاد عليه". رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

وقال عليه الصلاة والسلام :"من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر". متفق عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين". رواه أبو داود وابن حبان وهو حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام:" من قال حين يمسي : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء ، وهو السميع العليم، ثلاث مرات ، لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات، لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسي ". رواه ابو داود وابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قال حين يمسي ثلاث مرات :أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره لدغة حية في تلك الليلة".رواه الترمذي وابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قال إذا خرج من بيته، بسم الله توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له :كفيت ووقيت ، وتنحى عنه الشيطان". رواه الترمذي وأبو داود وابن حبان وابن السني وهو حديث صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا ، وبالإسلام دينا ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه". رواه مسلم والخمسة.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة ". رواه أحمد عن معاذ بن أنس وسنده صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام :"من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين". رواه الحاكم والبيهقي بسند صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت". رواه ابن حبان والنسائي وهو حديث صحيح ولم يصب من ضعفه.

وقال عليه الصلاة والسلام :" من قرأ قل هو الله أحد ، فكأنما قرأ ثلث القرآن ". رواه أحمد والنسائي والترمذي وهو حديث صحيح.

هذه باقة عطرة من محمد صلى الله عليه وسل نزفها إلى كل صائم.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . آمين.

سلامة الصدر (٢٩)

إن سلامة القلوب وصلاحها يكون باستقامتها على أمر الله تعالى، وإذا استقام قلب العبد ضمن صاحبه طهارته من الشرك، والنفاق، والرياء، والحسد، والغش للمسلمين، ومن كان سليم القلب فاز في الدنيا والآخرة.

لسلامة القلب فضل كبير عند الله تعالى؛ لأن ذلك دليل على صلاح صاحبه واستقامته، وانقياده لأمر الله تعالى، وانتهائه عن نهيه، وتلك هي العبودية التي خلق الله تعالى البشر لأجلها، وكلفهم بها، ومن فضائل سلامة القلب ما يلي:

أولاً: إن أصحاب القلوب السليمة يدركون من الأجر، ويبلغون من المنازل بطهارة قلوبهم ونقائها ما لا يبلغه الصائمون القائمون بصيامهم وأعمالهم الصالحة.

ثانيا: إن أصحاب القلوب السليمة هم أفاضل الناس؛ كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.

ثالثاً: إن الله تعالى امتدح من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم، فسلمت قلوبهم عليهم وعلى عموم المسلمين، ونوه الله تعالى بدعائهم في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، كما في قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الحشر:١٠.[

رابعاً: إن صاحب القلب السليم على إخوانه المسلمين متصف بصفات أهل الجنة، الذين سلمت قلوب بعضهم على بعض من الغل والكراهية بتطهير الله تعالى لها، كما في قول الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) [الأعراف:٤٣]، وفي الآية الأخرى(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) [الحجر:٤٧]، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم حالهم في الجنة فقال: (لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد .

إن قلوب العباد تفسدها الضغائن، والشحناء، والحسد، والأحقاد؛ حتى يشقى بها أصحابها في الدنيا، فلا يهنئون بعيش، ولا يرتاح لهم بال، ولا ترفع لهم أعمال، مع ما يفوتهم من الخير الكثير، بل ويفوتون الخير على غيرهم بسبب ما في قلوب بعضهم على بعض، ولقد رفع العلم بليلة القدر في سنة من السنوات – ولا تزال معرفتها مرفوعة إلى يوم القيامة– بسبب خصومة وقعت بين رجلين؛ كما روى عبادة بن الصامت (قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وفي حديث أبي سعيد الخدري (قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم :" يا أيها الناس إنها كانت أبينت لي ليلة القدر وإني خرجت لأخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها"

ولقد ورد أن العمل الصالح لا يرفع إلى الله تعالى بسبب الشحناء كما جاء في حديث أبي هريرة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا " وفي رواية " تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل لكل عبد لا يشرك به شيئاً إلا المتشاحنين يقول الله للملائكة: ذروهما حتى يصطلحا"

شهر رمضان شهر خير، وبركة، وإحسان، وهو فرصة عظيمة لتطهير القلوب من أدران الحسد، والبغضاء، والكراهية، والشحناء.

أسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا، وأن يطهرها من الضغائن والأحقاد، وأن يجعلها سليمة لله تعالى، سليمة على المسلمين، آمين يا رب العالمين، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

العيد غدا (٣٠)

غدا العيد والعيد غدا فما معنى العيد وكيف يكون العيد.

ليس العيد لمن لبس الجديد، ولمن تفاخر بالعدد والعديد ، وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد ، واتقى ذا العرش المجيد.

ليس العيد نغمة ووتر ، ولا مباهج فارغة ولا مظاهر وفوضى ، بل العيد شكرا للمنعم عز وجل واعتراف بفضله وإظهار نعمته والمسيرة في موكب من المؤمنين إعزازا للدين وكبتا لأعداء المسلمين.

في العيد قضايا عديدة منها:

الأكل في صباح عيد الفطر قبل الصلاة وذلك بتناول تمرات لنمتثل أمر الله في الإفطار كما امتثلناه في الصيام .

ومنها زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وإسعادا للفقير وإحياء لروح التعاون والتراحم بين المسلمين وتزكية للنفس وقهرا للشح.

ومنها لبس الجديد من الملابس والتطيب اعترافا بجميل صاحب الجميل تبارك وتعالى وتزينا له فهو سبحانه جميل يحب الجمال، ثم هو إظهار لنعمة الله عز وجل ، ففي حديث حسن عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :"إن الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده."

والعيد أن يعود بعضنا على بعض بالزيارة والسلام والصفاء والحب.

والعيد صلة للأرحام وبر بالوالدين وعطف على الفقير والمسكين ورحمة بالجار.

العيد عند المسلمين تتجلى فيه الأفراح الإيمانية المنضبطة بضوابط الشرع المحفوفة بسياج الأدب ، ففي العيد المزح الوقور والدعابة اللطيفة والنكتة البريئة والبسمة الحانية والنزهة المباحة والقصص البديع

العيد يذكر بيوم العرض الأكبر جمع حاشد وألوف مؤلفة ، غنى وفقير وكبير وصغير وأمير ومأمور وسعيد وشقي ومسرور ومحزن.

العيد يوم الجوائز فمن صام وقام إيمانا واحتسابا فبشراه بالجائزة الكبرى والفوز العظيم والثواب الجسيم.

ومن فجر في صيامه وتهاون في أمر ربه وتعدى حدوده فيا ندامته ويا اسفه ويا حسرته.

يعود الناس من المصلي وهم فريقان:

فريق مأجور مشكور. يقول الله تعالى لهم :انصرفوا مغفور لكم فقد ارضيتموني ورضيت عنكم.

وفريق خاسر خائب يعود بالخيبة والخسران والأسف والحرمان: مر أحد الصالحين بقوم يلهون يوم العيد فقال لهم : إن كنتم أحسنتم في رمضان فليس هذا شكر الإحسان ، وإن كنتم أسأتم فما هكذا يفعل من أساء مع الرحمن.

رأى عمر بن عبد العزيز الناس يسرعون على جمالهم وخيولهم من عرفات مع الغروب ، فقال ليس السابق اليوم من سبق جواده أو بعيره ، ولكن السابق من غفر ذنبه.

يا أيها المسلم تفكر فيمن صلى معك بالأعياد الماضية من الآباء والأجداد والأحباب والأصحاب، أين هم ؟ أين ذهبوا ؟ أين ارتحلوا ؟

غدا تنال الجائزة ، وغدا توفى أجرك مكتوبا في سجلات الأعمال فاحرص أن يكتب فيه خير ، وانتظر عيدك الأكبر يوم تفوز إن شاء الله برضى الله وعفو الله (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ).

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

دعاء ختم القرآن

عبد الرحمن السديس

اللهم إنك قلت وقولك الحق المبين، وأنت أصدق القائلين: وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً [النساء:١٢٢].. وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً [النساء:٨٧].. قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً [آل عمران:٩٥ .]

اللهم إنا نحمدك، ونستعينك، ونستهديك، ونستغفرك، ونتوب إليك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، ونثني عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك .

اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفِد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق .

اللهم لك الحمد كله، ولك الشكر كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهلٌ أنت أن تُحمد، وأهلٌ أنت أن تُعبد، وأنت على كل شيء قدير.

لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالمال والأهل والمعافاة، كبتَّ عدونا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد والشكر كثيراً كما تعطي كثيراً .

اللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد على كل حال .

لك الحمد كالذي نقول، وخيراً مما نقول، ولك الحمد كالذي تقول .

اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعةُ آتيه لا ريب فيها .

لا إله إلا الله! المتوحد في الجلال.. بكمال الجمال.. تعظيماً وتكبيراً، المتفرد بتصريف الأمور على التفصيل والإجمال تقديراً وتدبيراً، المتعالي بعظمته ومجده، الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً [الفرقان:١ .]

لا إله إلا الله! رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، سبحان من خضعت لعظمته الرقاب! سبحان من لانت لقدرته الشدائد الصلاب! غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ [غافر:٣].. لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ [الرعد:٣٠ .]

وصلوات الله وسلامه على نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله إلى كافة الثقلين بشيراً ونذيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً [الأحزاب:٤٦ .]

اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام، وعلمتنا الحكمة والقرآن، ولك الحمد على ما يسَّرت من صيام رمضان وقيامه، وتلاوة كتابك العزيز، الذي لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت:٤٢ .]

اللهم إنا عبيدك، بنو عبيدك، بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماضٍ فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب أحزاننا، وجلاء همومنا وغمومنا، وقائدنا وسائقنا إلى رضوانك وإلى جناتك جنات النعيم .

اللهم انفعنا وارفعنا بالقرآن العظيم الذي أيدت سلطانه، وقلت يا أعز من قائل سبحانه: فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [القيامة:١٨-١٩] أحسن كتبك نظاماً، وأفصحها كلاماً، وأبينها حلالاً وحراماً، ظاهر البرهان، محكم البيان، محروس من الزيادة والنقصان، فيه وعد ووعيد، وتخويف وتهديد، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت:٤٢] . اللهم ذكرنا منه ما نُسِّينا، وعلمنا منه ما جهلنا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويتلوه حق تلاوته. اللهم اجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده، ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده. اللهم ألبسنا به الحلل، وأسكنا به الظلل، وادفع عنا به النقم، وزدنا به من النعم، يا ذا الجلال والإكرام !

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك، يا ذا الجلال والإكرام !

اللهم اجعل القرآن العظيم لقلوبنا ضياءً، ولأبصارنا جلاءً، ولأسقامنا دواءً، ولذنوبنا ممحِّصاً، وعن النيران مخلِّصاً. اللهم اجعله شفيعاً لنا، وحجة لنا لا حجة علينا. اللهم اجعلنا ممن قاده القرآن إلى الجنان، ولا تجعلنا ممن أعرض عنه القرآن فزُجَّ في قفاه في النار، يا واحد يا قهار !

اللهم وفقنا في هذه الليلة المباركة لما تحب وترضى .

اللهم انقلنا بالقرآن من الشقاء إلى السعادة، ومن النار إلى الجنة، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن الذل إلى العز، يا ذا الجلال والإكرام! ومن أنواع الشرور كلها إلى أنواع الخير كلها يا حي يا قيوم !

اللهم وفقنا في ليلتنا هذه إلى ما تحب وترضى، وفي كل أعمالنا، يا حي يا قيوم !

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، ولا تجعل لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا هماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا نَفَّسته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا مظلوماً إلا نصرته، ولا ظالماً إلا قصمته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضاً ولنا فيها صلاح إلا أعنتنا على قضائها ويسَّرتها، برحمتك يا أرحم الراحمين !

اللهم اجعلنا لكتابك من التالين، وبرحمتك من الفائزين، وعند النعماء من الشاكرين، وعند البلاء من الصابرين، ولا تجعلنا ممن استهوته الشياطين فشغلته بالدنيا عن الدين، فأصبح من النادمين، وفي الآخرة من الخاسرين .

لا إله إلا الله! عدد ما مشى فوق السماوات والأرضين ودرج، والحمد لله الذي بيده مفاتيح الفرج، يا فرجنا إذا أغلقت الأبواب! ويا رجاءنا إذا انقطعت الأسباب، وحِيل بيننا وبين الأهل والأصحاب !

اللهم يا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت! نسألك أن تجعلنا من أهل الجنة، الذين لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ [يونس:٦٢] وأن تعتق رقابنا من النار، بمنك وكرمك يا رحمان يا رحيم !

اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانية، ولنبيك بالرسالة، وماتوا على ذلك. اللهم اغفر لهم وارحمهم، وعافهم واعف عنهم، وأكرم نزلهم، ووسع مدخلهم، واغسلهم بالماء

والثلج والبرد، ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم وجازهم بالحسنات إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً؛ حتى يكونوا في بطون الألحاد مطمئنين، وعند قيام الأشهاد آمنين، وإلى أعلى جناتك سابقين. اللهم أنزل على قبورهم الضياء والنور، والفسحة والسرور. اللهم ارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه، تحت الجنادل والتراب وحدنا .

اللهم اجعل القبور بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا، وأفسح فيها ضيق ملاحدنا، اللهم يَمِّن كتابنا، وبيِّض وجوهنا، وثبِّت أقدامنا، ويسِّر حسابنا، وارزقنا جوار نبيك صلى الله عليه وسلم، مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً [النساء:٦٩ .]

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين .

اللهم آمنا في أوطاننا، وأدم الأمن والاستقرار في ربوعنا .

اللهم ارفع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم في كل مكان المحن والبلايا، والفتن والرزايا. اللهم ادفع عنا الغلاء، والوباء، والربا، والزنا، والزلازل، والمحن، وسوء الفتن، يا ذا الجلال والإكرام !

اللهم اختم لنا شهر رمضان برضوانك، والعتق من نيرانك. اللهم إنك تتفضل على عبادك في آخر الليالي من شهر رمضان بعتق رقابهم من النار، اللهم اعتق رقابنا، ورقاب آبائنا، وأمهاتنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وأقاربنا، وذوي أرحامنا، ومن له حق علينا، ومن أحبنا فيك، ومن أحببناه فيك، اللهم اعتق رقابنا جميعاً من النار .

اللهم أعد علينا رمضان أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة. اللهم أعده على الأمة الإسلامية وهي ترفل في ثوب الصحة والمنعة والنصر على الأعداء، يا سميع الدعاء! يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء !

اللهم أنقذ مقدسات المسلمين من عبث العابثين، وعدوان المعتدين. اللهم أنقذ المسجد الأقصى من براثن اليهود الغاشمين. اللهم اجعله شامخاً عزيزاً إلى يوم الدين. اللهم لا تمكن فيه لأعدائك يا رب العالمين! اللهم أخرجهم منه أذلة صاغرين. اللهم ارزقنا فيه صلاة قبل الممات، يا رب الأرض والسماوات! يا حي يا قيوم !

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وفي كل مكان. اللهم ارفع الضر عن المتضررين، والبأساء عن البائسين .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا .

اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها، وخير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم نلقاك. اللهم لا تجعلنا ممن حظه من صيامه الجوع والعطش، ومن قيامه السهر والتعب .

اللهم إنا نسألك مسألة الخائفين، ونبتهل إليك ابتهال المذنبين، ابتهال ودعاء من خضعت لك رقابهم، ورغمت لك أنوفهم، اللهم فتقبل دعاءنا وصيامنا وصلاتنا، يا حي يا قيوم !

اللهم لا تردنا خائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين !

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين !

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وصلوات الله وسلامه على خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.